

كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالإسكندرية

علاقة الدعاء بالقضاء

إعداد الدكتورة

هويدا فؤاد الطويل

المدرس بقسم العقيدة والفلسفة
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م





المقدمة

الحمد لله مجيب الدعاء ، كاشف الضر والبلاء ، لا يرد سائلاً ولا يخيب راجياً ، فهو أهل الفضل والثناء ، أحمده على نعمه العظيمة التي لا تحصى وأشكره في السر والنجوى ، والصلاة والسلام على من بعث بالدين الأسمى والرسالة العظمى ، وعلى آله وصحبه أولى البصائر والنهى ومن بهديهم أهتدى وبآثارهم اقتفي وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد...

فالقضاء والقدر من الأمور التي خاض فيها كثيرون ، وزل فيهما بعض أولى العلم ، وألفت فيهما الكتب. وتجادل فيهما أتباع الدين الواحد ، لأنهما يتعلقان بأمر غيبى ، لا نعرف منهما إلا ما ظهر إلى الواقع ، ويبقى أمرهما في عداد الغيبيات التي لا سبيل للعلم بها إلا من طريق النص المعصوم والقول المأثور المقرون بالبرهان ، وقد ترتب على هذا أن فهم بعض الناس خطأ أن يلزم العبد السكون والجمود ، وأن يستسلم للقضاء والقدر، وأن يفوض الأمر إليه ، بل يتواكل عليه سبحانه ، فلا يباشر عملاً ولا يزاول مهنة ، بل ينتظر السماء لتمطره بالذهب والفضة ، ويتقاعس في الأخذ بالأسباب ، ويهمل أمر الدعاء الذى لا يخرج عن كونه عملاً لسانياً أو قلبياً – كما يدعى البعض – حيث يتساءل هؤلاء الناس ! لماذا الدعاء ومزاولة الأعمال والحال أن ما شاءه الله كان ومالم يشأه لم يكن !!

والله – سبحانه وتعالى – أمر عباده بالإيمان بالقضاء والقدر، وأمرهم – أيضاً – بالتوكل والأخذ بالأسباب ، وأمرهم كذلك بالدعاء والتضرع إليه تعالى والاستنجاد به... فهل هذه الأوامر متباينة متنافرة أم متعاونة متآلفة.

ولما كانت الكتابة في مثل هذا الموضوع خطيرة ودقيقة وتحتاج إلى عناية ، ولكونها كتابة مهمة في موضوع عقائدي يشكل ركناً من أركان الإيمان آلا وهو القضاء ، والآخر في شأن الدعاء بما يمثله من قيمته العقدية و العلمية وآثاره العملية ، ويحتاجه ذو الهمة العالية فضلاً عن غيره .

ولما اتسم هذا النوع من العلم المفيد الذى لا ينفع فيه التقليد دون البحث والتعميق ؛ لأنه يبدو في ظاهره بسيط ويسير إلا أنه من الصعوبة بمكان الإفتاء به بقطعيات دون مدارسة ؛ لأنه يقع ضمن دائرة حرية الإنسان واختياراته وقضائه ومعرفته في علاقتها بعلم الله – سبحانه – ومشيئته ومعرفته وقدره.

لذا وجدت نفسى راغبة في التشمير والكتابة في هذا الموضوع ، وقد رأيت فيه مسائل عديدة تحتاج إلى توضيح وتقريب كي تستوعب ويفهم ما فيها من معاني عظيمة ، ومفاهيم كريمة تربط العبد بربه وتقربه إليه. وللوصول إلى ما سبق لابد من خطوات اسلكها لأصل بعدها إلى النتيجة التي تكشف حقيقة العلاقة بين الدعاء والقضاء.

١- ومن هذه الخطوات أن أسوق مجموعة من الحقائق والمعاني والبديهيات الإيمانية التي جاءت بها النصوص قاطعة.

٢- وأضم لها الكشف عن أبعاد قضية القضاء والقدر بآفاقها الرائعة، وعن صلة الدعاء بهما.

٣- ثم أعرج على النصوص التي كثرت في بيان العلاقة بين الدعاء من حيث إنه مما شرع ، ومسألة الإيمان بـ "القضاء والقدر" من حيث كونه من أركان الإيمان . وفي رحاب هذه النصوص نجد ما يجلى تجلية باهرة رائعة أبعاد هذه العلاقة ؛ لذا رأيت أن تكون معالجة مسائل هذا البحث على النحو التالي: -

أولاً: - مقدمة: - تتضمن كلمة الاستهلال ، وأهمية الموضوع ، وخطة البحث فضلاً عن المنهج العلمي في طريقة اعداده

المبحث الأول: - التعريف بمصطلحات البحث وأدلة ثبوتها

(ويتضمن مطلبين)

المطلب الأول: - تعريف الدعاء وأدلة ثبوته

المطلب الثاني: - تعريف القضاء وأدلة ثبوته

المبحث الثاني: - بعض الحقائق والمعطيات الإيمانية

المطلب الأول: - كون القضاء عقيدة مرتبطة بالإرادة والعلم والقدرة

المطلب الثاني: - نظرية الأسباب وارتباطها بالمسببات

المطلب الثالث: - أفعال العباد ومشكلة التخيير والتسيير

المبحث الثالث: - العلاقة بين الدعاء والقضاء

(ويتضمن مطلبين)

المطلب الأول: - عقيدة أهل السنة والجماعة في علاقة الدعاء بالقضاء

المطلب الثاني: - المخالفون لأهل السنة والرد عليهم

أخيراً: - القول الفصل في علاقة الدعاء بالقضاء

الخاتمة وفيها: - أولاً: أهم نتائج وتوصيات البحث

ثانياً: فهرس المصادر والمراجع والموضوعات

المنهج العلمي في البحث: -

الدراسة تعكس بأسلوب بسيط ومختصر ما يتعلق بموقف الـــدعاء مـــن القضـــاء ، وذلك عن طريق ما يلى: -

أ - استخدام المنهج الوصفي والذى يعنى بجمع البيانات للاستفادة منها [١] وقد استخدمت هذا المنهج عن طريقٍ تضمين كافة البيانات التي توافرت تحت يدى في ثنايا الدراسة ، محاولة لتكوين رؤية أقرب إلى الصواب - بقدر المستطاع - عن موضوع البحث.

ب - كما استخدمت المنهج التحليلي حيث قمت بتحليل كافة الكتابات المتصلة بموضوع البحث لاستخراج أهم الأفكار الواردة فيها وتوظيفها لخدمة الدراسة[٢].

جـ - كما استعنت في احدى مطالب البحث بالمنهج النقدي[٣] لتسليط الضوء على مـــا احتوته بعض الأفكار الواردة في الدراسة من جوانب سلبية من الصعوبة بمكان غض البصر عنها.

المنهج الفني في كتابة البحث: -

أ - عزوت الآيات القرآنية إلى مكانها من الســـور بذكر(اسم السورة ورقم الآية)

ب - خرجت الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية في كتب السنة

---

١) انظر:مناهج البحث عند مفكري الإسلام د/على سامى النشار ص٢٧٠-٢٧١، وأبجديات البحـــث في العلوم الشرعية "محاولة التأصيل المنهجي لفريد الأنصاري ص٧١

٢) انظر:مناهج البحث ص٢٧٠-٢٧١، وابجديات البحث ص١١٩، وبحوث في مقارنة الأديـــان محمـــد عبدالله الشرقاوي ص٤٣

٣) مناهج البحث ص٢٧١، وبحوث في مقارنة الأديان ص٤٦

جـ – اتبعت القواعد البحثية في النقل عن الآخرين سواء أكان نصاً أم تصرفا

د – قمت بوضع العناوين الجانبية والترقيم لبعض الموضوعات للفت الانتباه إليها وتيسير عرضها على القارئ.

هـ – اعتمدت على المراجع الأصلية كلما توفر لي ذلك لمالها من تأصيل لموضوع الدراسة

و – لم أغفل الدراسات الحديثة في ذات الموضوع باعتبارها نتاج مرحلة متطورة من البحث للعقل الإنساني.

ز – الاقتصار على اسم الكتاب والمؤلف عند أول ورود له بالبحث إذا لم يكن هناك تشابه بينه وبين كتاب آخر، فإذا وجد هذا التشابه أو احتمال اللبس اعيد ذكر المؤلف ، أما تاريخ الطبعات ورقمها وما جرى مجرى ذلك فيرجئ إلى فهرس المصادر والمراجع

وقد حاولت جاهدة أن أصل إلى الصوابَ – بقدر المستطاع – من خلال هذا البحث ، فإن وفقت فإني لله حامدة على هذا الغنم ، وإن كانت الأخرى فإني استغفر الله وأتوب إليه ، وأسأله تعالى داعية إياه – سبحانه – أن يرشدني إلى ما فيه الخير. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د/هويدا فؤاد محمد الطويل

المدرس بقسم العقيدة والفلسفة بكلية

الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث وأدلة ثبوتها

المطلب الأول: تعريف الدعاء وأدلة ثبوته

أولاً - الدعاء في اللغة:

مصدر من دعا يدعو دعاء ودعوة، أقاموا المصدر مقام الاسم تقول: سمعت دعاءً، كما تقول سمعت صوتاً، وقد يوضع المصدر موضع الاسم كقولهم: رجل عدل [١] وقيل هو: أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك تقول: دعوت فلانا أدعوه دعاءً، أي ناديتهُ وطلبت إقباله وأصله دعاوٌ، إلا أن الواوٍ لما جاءت بعد الألف همزت[٢].

وللدعاء في القرآن الكريم وجوه عدة كلها تدور حول المعنى اللغوى المتقدم نذكرمنها: -

١- النداء يقال: دعوت فلانا، أي ناديته وصحت به، قال تعالى:﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ﴾ [٣] أي نناديى وقد يستعمل كل واحد من النداء والدعاء موضع الآخر، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾[٤].

---

١) أفاده الخطابي - رحمه الله - شأن الدعاء ص٣

٢) انظر: معجم مقاييس اللغة دعو (٢: ٢٧٩)، ولسان العرب لابن منظور باب الواو وفصل الدال.

٣) آل عمران:٦١، راجع أيضاً الإسراء :٥٢

٤) البقرة :١٧١، راجع أيضاً الأعراف :١٩٤

٢- الطلب يقال: دعاه ، أي طلبه ، قال تعالى:﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا ....﴾ [١] أي تطلب أن يحمل عنها.

٣- القول قال تعالى:﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا ﴾ [٢] أي قولهم إذ جاءهم العذاب.

٤- العبادة قال تعالى:﴿ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ..﴾ [٣] أي نعبد.

٥ - الاستعانة قال تعالى:﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ... ﴾ [٤] أي استعينوا.

٦- الحث على الشيء قال تعالى:﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [٥] أي حثهم على عبادة الله.

٧- النسبة قال تعالى:﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ ...﴾ [٦] أي انسبوهم.

٨- السؤال قال تعالى:﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ ...﴾ [٧] أي سله.

٩- الثناء قال تعالى:﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ .. ﴾ [٨]

---

١) فاطر:١٨، راجع أيضاً البقرة: ٢٣

٢) الأعراف :٥

٣) الكهف :١٤، راجع أيضاً الأعراف :١٩٤، يونس:١٠٦

٤) البقرة :٢٣

٥) نوح:٥

٦) الأحزاب:٥

٧) البقرة:٦٩، وراجع أيضاًغافر:٦٠

٨) الأسراء:١١٠

وغيرها من المعاني[١] فتلك المعاني تشترك في الدعاء لغة ، ولكن إذا أطلق لفظ الدعاء فيراد به الثناء على الله – سبحانه – أو الطلب منه ، لاشتهاره بهذا المعنى ، وهو الحقيقة الشرعية ، أما إذا اقترن به ما يدل على غير ذلك فيحمل معناه عليه ، كأن تقول: ألا تدعو فلانا بكنيته ، فالمراد النداء أوالتسمية وهكذا.

ثانياً - الدعاء في الاصطلاح: -

طلب الأدنى من الأعلى على جهة الخضوع والاستكانة[٢] ودعا العبد ربه – جل جلاله – طلب العناية منه ، واستمداده إياه المعونة[٣] ويقال: دعوت الله ادعوه دعاءً: ابتهلت إليه بالسؤال ، ورغبت فيما عنده من الخير[٤] قال تعالى:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [٥].

فحقيقة الدعاء – إذن – استشعار الافتقار إلى الغنى ، والحاجة إلى المغنى ، والذل بين يدى العزيز، والضعف بين يدى القوى جل في علاه ، مما يعطى العبد القوة الحقيقية ؛ لأنه موصول بالقوى المتين سبحانه وتعالى[٦] .

---

١) يراجع في معنى الدعاء، الصحاح الجوهري دعا٦: ٢٣٣٧ ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس دعو(٢: ٢٧٩) والقاموس المحيط للفيروز آبادي دعا٤: ٣٢٩، وفتح الباري ١١/٩٤والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص١٧٦ــــ١٧٧

٢) عدة الداعي للشيخ أحمد بن فهد الحلى ص٩

٣) تفسير الرازي ٥: ٩٧

٤) المصباح المنيرللفيومى١: ١٩٤

٥) غافر: ٦٠

٦) اتحاف السادة المتقين للزبيدي ص٢٨

وقال الخطابي[١] : "إظهارالافتقارإليه والتبرؤ من الحول والقوة ، وهو سمة العبودية ، واستشعار الذلة البشرية ، وفيه معنى الثناء على الله ، واضافة الجود والكرم إليه ، ولذلك قال رسول الله (ﷺ) : "الدعاء هو العبادة"[٢] وهذه العبادة هى أحد الأمور التي يصدق عليها مفهوم الدعاء اللغوى الواسع – كما تقدم – كما أن الصلة الاصطلاحية بين العبادة والدعاء– أيضا– قائمة ؛ لأهما يشتركان في حقيقة واحدة، هى إظهارالخشوع والافتقار إلى الله– تعالى– وهو غاية الخلق وعلته، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [٣]

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾ [٤] فالدعاء والعبادة يعكسان الفقر المتأصل في كيان الإنسان إلى خالقه تعالى مع إحساسه العميق بالحاجة إليه – سبحانه – والرغبة فيما عنده.

ثالثاً : أدلة ثبوت الدعاء

أ- أدلة قرآنية : -

١- الآيات الدالة على الدعاء كثيرة ومتنوعة في عرضها منها : -

الأمربالدعاء صراحة: – يشيرإلى ذلك قول الله سبحانه:

---

١)الإمام أبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، ولد بمدينة بست كان فقيها محدثا أديبا تلقى الحديث في العراق على يد أبو علي الصفار وأبو جعفر الرزاز وغيرهما، ولد (٣١٩) وتوفي (٣٨٨هـ) (سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٣/١٧).

٢) جامع الترمذي " كِتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ " بَاب مَا جَاءَ فِي الَّذِي يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ رقم الحديث: ٢٩١٤

٣) الذاريات :٥٦

٤) الفرقان :٧٧

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [1] وإن اختلف العلماء في المقصود من "الدعاء" في هذه الآية الكريمة، إذ اشارالبعض إلى أنه بمعنى" العبادة" مستدلين بحديث رسول الله (ﷺ) "الدعاء هو العبادة "وقرأ قوله تعالى:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [2] . وقد أكد هذا المعنى بعض المفسرين منهم مارواه ابن جرير الطبرى[3] في تفسيره عن النعمان بن بشير- ﷺ- قال: قال رسول الله (ﷺ) : "إن عبادتى دعائى"ثم تلا هذه الآية الكريمة[4] .

وذهبت طائفة أخرى إلى أن الدعاء في الآية المذكورة أريد به حقيقته وهى الاستعانة بالله والتضرع إليه فهو كالحديث الشريف:"الحج عرفة"[5] أي أن الوقوف بعرفة هو الركن الأعظم في الحج ، ومن فاته الوقوف بعرفة فلا حج له ، كذلك الدعاء هو أعظم العبادات وأفضلها وتفوت كل عبادة بفواته وقال تعالى:﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ... ﴾ [6] .

---

١) غافر: ٦٠

٢) سبق تخريجه

٣) محمد بن جرير الطبري: هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر الطبري (٢٤٤-٣١٠هـ) مؤرخ ومفسر وفقيه، صاحب أكبر كتابين في التفسير والتاريخ، وكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات بصيراً بالمعاني فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين وتوفي عشيه الأحد ودفن في داره.(سير أعلام النبلاء للذهبي الطبقة ١٧الجزء الرابع عشر)

٤) المجلد الثاني ص١٦٧ طبعة دار الكتب العلمية، انظر أيضاً مفاتيح الغيب للرازي المجلد الثالث عشر جـ٢٣ص٥٧٣ـــ ٥٧٤

٥)الترمذي في الحج، باب: ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج رقم الحديث (٨٨٩)

٦) الأعراف : ١٨٠

الأمر بالدعاء ضمناً: - ورد الأمر بالدعاء ضمناً في أربع سور من القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١)

وقوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (٤)

الأمر بالدعاء استنطاقاً للفطرة:- مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (٥)

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا﴾ (٦).

وقوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ...﴾ (٧).

---

١) النور: ٣١

٢) الذاريات: ٥٠

٣) التحريم :٨

٤) البقرة :١٨٦

٥) الانعام ٤٠

٦) الفرقان: ٧٧

٧) النمل: ٦٢

الأمر بالدعاء في سياق ما يجب توافره من شروط:- كقوله تعالى:﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ..﴾ (١)

وكقوله تعالى:﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (٢)

وقوله تعالى:﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣)

وكقوله تعالى:﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا.. (٤)

وقوله تعالى:﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا ...﴾ (٥)

٢ - الرسل - صلوات الله عليهم - ونماذج من أدعيتهم في القرآن: -

آدم عليه السلام:-قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦)

نوح عليه السلام: ﴿ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ (٧)

---

١) الاعراف:٢٩

٢) الأعراف:٥٥

٣) الأعراف:٥٦

٤) الأنبياء:٩٠

٥) السجدة:١٦

٦) الأعراف:٢٣

٧) نوح:٢٨

إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾[١].

ويوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾[٢] كما قال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾[٣]

---

١) إبراهيم: ٣٥: ٤١

٢) يوسف: ٣٣

٣) يوسف: ١٠١

وموسى عليه السلام حينما قال: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ (١)

وذا النون عليه السلام في قوله: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢)

وزكريا عليه السلام في قوله: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ (٣)

ودعوة أيوب عليه السلام: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾(٤)

وعيسى عليه السلام حين قال: ﴿ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ (٥)

---

١) يونس:٨٨

٢) الأنبياء:٨٧: ٨٨

٣) الأنبياء:٨٩

٤) الأنبياء:٨٣

٥) الما ئدة:١١٤

ومحمد(ﷺ) حين دعا ربه في بدر واستنصره متضرعاً إليه حتى سقط رداؤه[1] فأنجز لـه الله – تعالى – ما وعده ، وأمده بألف من الملائكة مردفين، ولاحت بشائر الانتصار قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[2]

٣ - الصالحون ونماذج من أدعيتهم في القرآن : -

أصحاب طالوت حينما اشتد الفزع بهم لكثرة العدد والعدة في صف جالوت وجنوده دعوا الله متضرعين قال تعالى:﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ..﴾[3]

وقول سحرة فرعون لما آمنوا:﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[4]

---

١) (لما كان يومُ بدرٍ، نظر رسولُ الله ﷺإلى المشركين وهم ألفٌ، وأصحابُه ثلاثمائةٍ وتسعةَ عشرَ رجلًا. فاستقبل نبيُّ الله ﷺالقبلةَ . ثم مدَّ يدَيه فجعل يهتف بربِّه (اللهمَّ ! أَنجِزْ لي ما وعدتَني .اللهمَّ ! آتِ ما وعدتَني . اللهمَّ ! إن تَهلِك هذه العصابةُ من أهلِ الإسلامِ لا تُعبدُ في الأرض) فما زال يهتف بربِّه، مادًّا يدَيه، مستقبلَ القبلةِ، حتى سقط رداؤُه عن منكبَيه . فأتاه أبو بكرٍ . فأخذ رداءَه فألقاه على منكبَيه. ثم التزمه من ورائِه . وقال : يا نبيَّ اللهِ ! كفاك مُناشدتُك ربَّك . فإنه سينجز لك ما وعدك) صحيح مسلم، كِتَاب الْجِهَاد وَالسِّيَرِ، بَاب الْإِمْدَادِ بِالْمَلَائِكَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ رقم الحديث: ٣٣١٥

٢) الأنفال:٩

٣) البقرة:٢٥٠-٢٥١

٤) الأعراف:١٢٦

ب - الأدلة من السنة : -

١ - الأدلة القدسية : -

– حيث ورد ماقاله مسلم في صحيحه: "حدثنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مسره قال سمعت أبا عبيده يحدث عن أبي موسى الأشعرى[١] عن النبي (ﷺ) قال أن الله – ﷻ – يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهارليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها"[٢]

كماقال مسلم في صحيحه: "حدثنى عبدالأعلى بن حماد حدثنا حماد بن سلمه عن اسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة عن النبى(ﷺ) فيما يحكى عن ربه – ﷻ – قال:" أذنب عبدى ذنباً فقال اللهم اغفر لى ذنبى فقال تبارك وتعالى أذنب عبدى ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب أغفر لى ذنبى فقال تبارك وتعالى عبدى أذنب فعلم أن له رباً يغفر ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب أغفر لى ذنبى فقال تبارك وتعالى اذنب عبدى فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب اعمل ما شئت فقد غفرت لك"[٣]

---

١) هو عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن الأشعر، لقب بالأشعر لأنه ولد على بدنه شعر، وهو إمام كبير، صاحب رسول الل ه (ﷺ)التميمي الفقيه المقرئ، قرأ على النبي (ﷺ)، وأقرأ أهل البصرة وفقهم في دينهم استعمله النبي (ﷺ)على اليمن وولى أمرة الكوفة لعمر رضى الله عنه، توفي بالكوفة وقيل بمكة سنه ٥٠هـ وقيل غير ذلك.(سير أعلام النبلاء جـ ٢ ص٣٨١)

٢)صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة (٤/ ٢١١٣) رقم الحديث ٢٧٥٩

٣) صحيح مسلم" كِتَاب التَّوْبَةِ" بَاب قَبُولِ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَإِنْ تَكَرَّرَتِ رقم الحديث: ٤٩٥٨(حديث قدسي)

٢ - الأدلة النبوية : -

والأحاديث المحمدية الشريفة في هذا المقام كثيرة جداً ، وجميعها مدللة على ثبوت الدعاء وقبوله إذا توافرت فيه مقوماته وسوف اكتفي هنا بنماذج معدودة منها: -

- قول الرسول(ﷺ) : "ادْعُ إلى ربِّكَ الَّذي إنْ مَسَّكَ ضُرٌّ فدعوْتَهُ كشَفَ عنْكَ ، والَّذِي إنْ أضلَلْتَ بأرضٍ قَفْرٍ فدعوتَهُ رَدَّ عليْكَ،والذي إنْ أصابتْكَ سَنَةٌ فدعوتَهُ أنْبَتَ لكَ "(١)

- وعن النبى (ﷺ) قال: "أعجز الناس من عجز عن الدعاء وأبخل الناس من بخل بالسلام "(٢) .

- وحديث أنس عن الرسول(ﷺ) : "إن الله حيى كريم يستحى أن يبسط العبد يديه إليه فيردهما صفراً"(٣)

- وعن أبي هريرة – ﷺ– قال رسول الله (ﷺ) : "إن لله تعالى عتقاء في كل يوم وليلة لكل عبد منهم دعوة مستجابة"(٤) .

- وعنه – أيضاً –: " ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء"(٥) .

---

١)انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني ص ٤٦ الحديث رقم ٢٤٤وحكم المحدث صحيح، سنن أبي داود (٤٠٨٤)

٢)كتاب " الدعاء للطبراني "- باب : مَا جَاءَ فِي الْعَجْزِ فِي الدُّعَاءِ - رقم الحديث: ٥٤

٣) جامع الترمذي رقم الحديث: ٣٥٠٨(حديث قدسي)

٤) مسند أحمد بن حنبل "مُسْنَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ، بَاقِي مُسْنَد الْمُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ رقم الحديث(٧٢٦٨)

٥) رواه البخاري في الأدب المفرد ص٢٤٩ حديث رقم ٧١٢ عن طريق عمران القطان عن قتادة عن سعيد بن أبي الحسن عن أبي هريرة ودرجة الحديث صحيح وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٥٢)

- وقال النبى (ﷺ) : " لاتدعوا على أنفسكم ولاتدعوا على أولادكم ولاتدعوا على خدمكم ولاتدعوا على أموالكم لاتوافق من الله ساعة ينل فيها عطاء فيستجاب لكم"(١)

- كما قال (ﷺ) : "ماعلى الأرض مسلم يدعوا الله بدعوة إلا أتاه الله تعالى إياها أوصرف عنه من السوء مثلها ، مالم يدع بإثم أو قطعية رحم فقال رجل من القوم: "إذا نكثر"قال: "الله أكثر"(٢)

- وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله (ﷺ) إن الله - ﷻ - يقول: "أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا دعانى "(٣)

جـ - من أهم الآثار الدالة على الدعاء وإجابته :-

ما قاله عمر بن الخطاب - ﷺ- لأصحابه لستم تنصرون بكثرة وإنما تنصرون من السماء ، فإذا الهمتم الدعاء فإن الإجابة معه قال تعالى:﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ.. ﴾(٤) وقال تعالى:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ... ﴾(٥) وعنه أيضاً قال: "إنى لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل هم الدعاء فإذا ألهمت الدعاء علمت أن الإجابة معه"(٦)

---

١) صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق ص٢٣٠٥رقم الحديث (٣٠١٤).

٢) سنن الترمذي " كتاب الدعوات " باب في انتظار الفرج وغير ذلك رقم الحديث (٣٥٧٣)

٣) صحيح مسلم كِتَاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ ، بَاب فَضْلِ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّقَرُّبِ رقم الحديث ٤٨٥٥ "قدسي"

٤) غافر:٦٠

٥) البقرة:١٨٦

٦) أوردة الحافظ في الفتح ١١/ ١٤١ وابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم٢/ ٢٢٩

د - دلالة الفطرة: -

إن علاقة الإنسان بربه علاقة فطرية متأصلة في نفس الإنسان ، ولكل امرئ طريق من قلبه إلى خالقه ، وثمة باب في القلوب يفتح إلى من بيده مجريات الأحداث، وهو بكل شيء محيط، حتى أشقى الأشقياء نجده عند الابتلاء بالمصائب والمحن، وعندما تنقطع به العلل والأسباب يفزع إلى خالقه، وهو أمر ذاتي يتساوى فيه الناس مهما كانت اتجاهاتهم وميولهم[١] قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ﴾ [٢] والآيات في هذا الأمر كثيرة[٣] وكلها تدل على أن التوجه إلى الله – تعالى– في حال الشدة والاضطرار أصيل في فطرة الإنسان وطبيعي في وجوده ، وهذا خير دليل على فطرية أمر الدعاء. وأكد ذلك صاحب الفتوحات المكية في تعليله لقبول دعاء المضطر(لأنه دعا ربه عن ظهر فقر إليه وما منع الناس الإجابة من الله ، في دعائهم إياه، إلا كونهم يدعونه عن ظهر غنى: لالتفاهم إلى الأسباب وهم لا يشعرون)[٤].

---

١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية للإمام أبي جعفر المصري ص٣٧٣

٢) يونس:١٢

٣) سورة الروم:٣٣، والإسراء:٦٧

٤) السفر السابع الجزء الخامس والأربعون ص٣٧٦ـــ ٣٧٧(وإن كان في هذا النص تلميح صريح بعدم الاعتداد بالأسباب وسأرجئ الرد على هذا الأمر في حينه)

المطلب الثاني: تعريف القضاء وأدلة ثبوته(١)

قبل بيان تعريف القضاء لغة واصطلاحاً أود أن أوضح أنه بعد الاطلاع والدراسة وجدت أنه لا يصح التعرض للقضاء منفرداً بعيداً عن القدر؛ للارتباط والتداخل فيما بينهما –كما سنرى– لذا كان لزاماً على أن أوضح تعريف كل منهما فيما يلى: –

أولاً – تعريف القضاء والقدر لغة: –

أ– تعريف القضاء لغة: – مصدر الفعل "قضى" يقضى قضاء وهو إحكام الشيء وإتقانه ، وإلى هذا أشار ابن فارس(٢) حيث قال: "القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمر، وإتقانه، وإنفاذه لجهته(٣)

---

١) مع الأخذ في الاعتبار بأنه هناك من يرى أنه لا ينبغي الحديث في مسائل القضاء والقدر مطلقاً بحجة أن ذلك يبعث على الشك والحيرة، وأن هذا الباب زلت به أقدام .ولكن الكلام هكذا – على إطلاقه– غير صحيح لأمور عديدة منها :١–أن القرآن الكريم ملئ بذكر القضاء والقدر وتفاصيلهما ونحن مأمورون بتدبر القرآن .٢–كما أن الصحابة– رضوان الله عليهم– سألوا النبي (ﷺ)عن أدق الأمور في القدر. ٣– كما أنهم علموا تلاميذهم– من التابعين– ذلك وسألوهم ليختبروهم وينظروا في فهمهم لهذا الباب. ٤– كما أن أئمة السلف الصالح من العلماء كتبوا في هذا الباب راجع في ذلك مسلم (٢٦٤٨) ومسلم باب القدر(٢٦٥٠)وإن كنت أرى بأن النهى الوارد في حق القضاء والقدر إنما هو منصب على الخوض فيهما بالباطل وبلا علم أو الاعتماد في معرفتهما على العقل البشرى القاصر بعيداً عن هدى الكتاب والسنه، أو التنازع في أمرهما بلا دليل، أو البحث عن الجانب الخفي في القدر الذى هو سر الله في خلقه(انظر: الإبانة لابن بطة العكبري ٤٢١/١–٤٢٢ والدين الخالص لمحمد صديق حسن جـ٣ص١٦٣، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص٢٦٢)

٢) هو أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزديني الشافعي المالكي، ولد سنة(٣٢٩هـ)لغوى، من مصنفاته :المجمل في اللغة مقاييس اللغة، جامع التأويل في تفسير القرآن توفي سنة ٣٩٥هـ (انظر: معجم المؤلفين – ٤٠/٢)

٣) معجم مقاييس اللغة (٩٩/٥)وانظر أيضاً: لسان العرب(٣٦٦٥/٦)

قال تعالى: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ .. ﴾ [١] أي: أحكم خلقهن، كما يطلق على الإتمام كقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ ﴾ [٢] أي اتممناه.

ويأتي بمعنى الحكم ، والصنع ، والبيان. وأصله القطع والفصل وقضاء الشيء ، وإحكامه ، وإمضاؤه والفراغ منه[٣] وهذه الإطلاقات قد وردت في القرآن الكريم وغيرها كثير منها: –

بمعنى الحكم والقضاء بين المتخاصمين والمتنازعين وذلك مثل قوله: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [٤]

.بمعنى الأمر التشريعي التكليفي مثل قوله :﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ....﴾ [٥]

بمعنى الإخبار والإعلام مثل قوله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾ [٦]

---

١) فصلت :١٢

٢) سبأ:١٤

٣) انظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٤٤١:٤٤٢ والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى ص٤٠٦ــ٤٠٧، والقاموس للفيروز أبادى ص١٧٠٨، ولسان العرب لابن منظور١٨٦/١٥

٤) النساء:٦٥

٥) الأسراء:٢٣

٦) الحجر:٦٦

وقوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (١)

ويأتي بمعنى أنهى وأتم وأنجز ودليله قوله: ﴿وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ (٢)

ويأتي بمعنى الكتابة قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ (٣)

ويأتي بمعنى القتل قال تعالى: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ (٤)

ويأتى بمعنى الأمر الكونى النافذ ، والقدر الحتمي الذى لا يرد ودليله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (٥) أي إذا قدر أمراً أو أراده فإنه لابد أن ينفذ بمجرد قوله له (كن)

ويأتى – كذلك – بمعنى حدد كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ (٦) أي قدر وحدد زمناً ، فهو قضاء حتمى أما كلمة (القضاء) فلم ترد بنصها في القرآن الكريم وإنما وردت مشتقاها التي بلغت(ثلاثاً وستين) مرة في (سبع وعشرين) سورة من سور الكتاب العزيز(٧) ويلاحظ في هذه المشتقات في سياق آياها أها كلها تدور حول معاني

---

١) الإسراء:٤

٢) الأنفال:٤٢

٣) مريم:٢١

٤) القصص:١٥

٥) البقرة:١١٧

٦) الأنعام:٢

٧)"البقرة، آل عمران، النساء، الأنعام، الأنفال، يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر، الإسراء، مريم، طه، الحج، النمل، القصص، الأحزاب

الخلق والإيجاد والإبرار، أي في صورة الحكم والتنفيذ فهو على هذا الاستنتاج يرجع إلى صفة القدرة الواجبة لله تعالى.

ب / تعريف القدر لغة: -

القدر في اللغة كما قال ابن فارس في مادة "قدر" أن القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته"[١] والقدر محركة: القضاء، والحكم، وهو ما يقدره الله - ﷻ - من القضاء ويحكم من الأمور. والتقدير: التروية، والتفكير في التسوية[٢]

ومن اطلاقات القدر في القرآن الكريم (٣) : -

التضيق قال تعالى:﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ [٤]

التعظيم قال تعالى:﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ....﴾ [٥]

الاستطاعة قال تعالى:﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ﴾ [٦]

---

١) معجم مقاييس اللغة ٦٢/٥

٢) انظر: لسان العرب٧٢/٥، والقاموس المحيط ٥٩١ .(والفرق بين القدر والتقدير، أن التقدير يستعمل في أفعال العباد ولا يستعمل القدر إلا في أفعال الله عز وجل(التعريفات للجرجاني ص١٧٤ حرف القاف، والفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ص٣٢٨)

٣) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٣٩٦-٣٩٧

٤) الفجر:١٦

٥) الأنعام٩١

٦) المائدة٣٤



التدبير قال تعالى: ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴾ [١]

القضاء قال تعالى: ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ ﴾ [٢]

من خلال ما سبق من تعريف القضاء والقدر في اللغة وبيان اطلاقاتهما في القرآن الكريم يتبين مدى العلاقة بينهما.

ثانيا: تعريف القضاء والقدر في الاصطلاح: -

يقول الجرجاني: - القدر خروج الممكنات من العدم إلى الوجود واحداً بعد واحد مطابقاً للقضاء، والقضاء في الأزل، والقدر فيما لا يزال[٣] وعرف القضاء بأنه عبارة عن الحكم الكلي الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبد[٤].

ومن التعريفات الاصطلاحية - أيضاً - هو ما سبق به العلم، وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد، وأنه - ﷻ - قدر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تقع في الأزل - وعلم سبحانه - أنها ستقع في أوقات معلومة عنده - تعالى - وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها[٥]

---

١) المرسلات:٢٣

٢) الواقعة:٦٠(وقد ورد القدر ومشتقاته في ثلاث وخمسين سورة من سور الكتاب العزيز منها البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأنفال....... - انظر الدعاء والقضاء د/محمد محمود الخطيب)

٣) التعريفات:ص١٧٤، انظر أيضاً الدين الخالص جـ٣ص١٤٦

٤) المرجع السابق:ص١٧٧(وهذا التعريف صحيح ولكن ينقصه الشمول، واستيعاب جميع الأفراد، وهي مراتب القدر الأربع التي سيأتي الحديث عنها لاحقاً)

٥) انظر: لوامع الأنوار البهية للسفاريني١/٣٤٨.

وإتماماً للفائدة سأشير في عجالة للفرق بينهما.

ثالثاً: الفرق بين القضاء والقدر: -

لما كان التفريق بين القضاء والقدر مما لم يرد فيه قول ثابت بنص الكتاب والسنة فقد اختلف العلماء في تحديده على أقوال عدة:- الأول: أن المراد بالقدر التقدير، وبالقضاء الخلق، فالقضاء والقدر أمران متلازمان لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه[1]

الثاني: القول بالتوقف حيث امتنع التفريق بصريح الأدلة من الكتاب والسنة وعليهما المعول فيما من شأنه التوقف[2]

الثالث: أنه يفرق بينهما، ولهم في توجيه ذلك الفرق عدد من الأقوال: -

١ - منها ما أورده الحافظ ابن حجر[3] - رحمه الله - بقوله: "القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله"[4].

٢ - ومنها ما ذكره بعض العلماء، من أن القضاء هو ما يتحقق وقوعه، أما القدر فهو مما يمكن توقف إنفاذه، فيكون القدر بمثابة العلم الأزلي والقضاء المشيئة

---

١) لسان العرب٥/١٨٦، وانظر أيضاً الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ص٣٢٨

٢) انظر: فتح الباري(١١/٤٧٧)

٣) هو شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن حجر بن أحمد العسقلاني الكناني، ولد في القاهرة - ٧٧٣هـ من عائلة فلسطينية الأصل من قبيلة كنانه بن خزيمة، حفظ القرآن في سن الثامنة عشرة وكان قاضي قضاة الشافعية توفي في أواخر ذي الحجة ٨٥٢هـ (موسوعة الأعلام لخيرالدين الزركلي جـ١ص١٧٨)

٤) فتح الباري(١١/٤٧٧)

النافذة[1] وقد ذهب الأشاعرة [2] إلى توجيه آخر لذلك الفرق حيث ذكر في شرح المواقف:"أن قضاء الله عند الأشاعرة هو إرادته الأزليه المتعلقة بالأشياء على ماهى عليه فيما لايزال، وقدره: إيجاده إياها على قدرمخصوص ، وتقديرمعين في ذواتها وأحوالها"[3] أما الماتريدية [4]:فيعرفوا القضاء على مذهبهم:بأنه انقطاع الشيء وتمامه، وأما القدر، فهو عندهم على وجهين: أحدهما الحد الذى يخرج عليه الشيء ، وهو جعل كل شيء على ماهو عليه من خير أوشر.... والثانى: بيان مايقع عليه كل شيء من زمان ومكان[5]

---

١) انظر: المفردات في غريب القرآن :للراغب الأصفهاني ص٤٠٧ (وهذا التفريق تبطله الأدلة التي دلت على أن كلا الأمرين قد يتغير فلا يقع، فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت :قال رسول الله(ﷺ):"لا يغنى حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة " أخرجه الحاكم في مستدركه :كتاب الدعاء، وقال هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه١/٤٩٢ وأيضاً عن النبي(ﷺ)أنه قال: "تعوذوا بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء" أخرجه البخاري: كتاب القدر باب من تعوذ بالله من درك الشقاء .رقم الحديث٦٦١٦)

٢) نسبة إلى الإمام على بن إسماعيل بن أبى بشر الأشعري ولدعام٢٦٠هـ وقيل٢٧٠هـ ومات عام ٣٣٣ هـ وقيل ٣٢٤هـ وقبل ٣٣٠هـ وقدسكن في بغداد إلى أن توفي بها(انظر: تاريخ بغداد ط١ ص٣٤٦ـ٣٤٧طبعة الخانجي عام ١٩٣١م) وإذا كان الإمام الأشعري قد تتلمذ في مدرسة المعتزلة على أحد زعمائها أبى على الجبائي قبل أن يخرج عليها، فإنه وهو مؤسس الأشعرية قد تخرج في مدرسته كبار رجال المذهب(انظر: موسوعة الفرق الإسلامية ص٢١٣ومابعدها يحيى هاشم فرغلي)

٣) السيد الشريف الجرجاني "الالهيات ص ٢٩٦ تحقيق د/محمد المهدى

٤) تنسب إلى الإمام أبى منصور الماتريدي الحنفي المتوفي عام(٣٣٣)هـ أحد رجلين يشار إليهما باعتبارهما رئيسي أهل السنة والجماعة في علم الكلام (مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زادة جـ٢ ص١٥١-١٥٢ مراجعة وتحقيق كامل بكرى وعبدالوهاب أبو النور نشر دار الكتب الحديثة).

٥) تبصرة الأدلة، أبو المعين النسفي٢/٧١٦.(من الملاحظ إن تعريف القضاء لديهم يرجع إلى صفات الأفعال وهى قديمة لديهم كصفات الذات، وكذلك القدر فهو قديم لديهم لأنه يرجع إلى صفة العلم، أما القضاء عند الأشاعرة يرجع إلى الإرادة وهى من صفات المعاني القديمة، أما القدر عند الأشاعرة فهو إيجاد فيكون من صفات الأفعال الحادثة لديهم لذا فهو حادث (انظر: في ذلك :نظرات في العقيدة الإسلامية د/محمد الأنور حامد عيسى ص١٢٦-١٢٧) ولعل الأقرب - والله أعلم - أنهما إذا اجتمعا افترقا، بحيث يصبح لكل واحد منهما مدلول بحسب ما سبق في الأقوال السابقة. وإذا افترقا اجتمعا، بحيث إذ أفرد أحدهما دخل فيه الآخر .

رابعاً: أدلة الإيمان بالقضاء والقدر: -

دل على هذا الركن العظيم من أركان الإيمان، الكتـــاب، والســـنة، والإجمـــاع، والفطرة والعقل.

أ: الأدلة من القرآن الكريم وهى كثيرة منها: -

١- قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ... ﴾ [١] ومعنى الآيه الكريمـــة: - أن الله - ﷻ - قدر أن يخلق خلقاً، ويأمرهم وينهاهم، ويجعل ثواباً لأهل طاعته، وعقاباً لأهل معصيته، فلما قدره كتب ذلك وغيبه فسماه الغيب وأم الكتاب، وخلق الخلق على ذلك الكتاب أرزاقهم، وآجالهم وأعمالهم، فكان أمرالله الذى مضى وفرغ منه، وخلق الخلق عليه قدراً مقدوراً[٢]

٢- وقوله تعالى: ﴿ لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ... ﴾ [٣]

ب: الأدلة من السنة: -

لقد تضافرت الأدلة من السنة المطهرة على الإيمان بالقضاء والقدر[٤] منها: -

---

١) الأحزاب:٣٨

٢) انظر: تفسير جامع البيان للطبري المجلد العاشر ص٣٣٦

٣) الأنفال:٤٢

٤) انظر في ذلك الدين الخالص جـــ٣ص١٦٦ومابعدها

١- ما ذكره النبى(ﷺ) في حديث جبريل المشهور، ولا يصح إيمان العبد حتى يؤمن بالقدر(١) روى مسلم في صحيحه عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهنى ، فانطلقت أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميرى حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله (ﷺ) فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبدالله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد ، فأكتنفته أنا وصاحبى أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبى سيكل الكلام إلى فقلت: أبا عبدالرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم ، وذكر في شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنى برىء منهم وأنهم براء منى والذى يحلف به عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر(٢) .

---

١) عَنْ (عُمَرَ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَيضاً قَال: "بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيْدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ،شَدِيْدُ سَوَادِ الشَّعْرِ،لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النبي ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ:يَامُحَمَّدُأَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ"الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيْمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُوْمَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنِ اِسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيْلاً " قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ !قَالَ: فَأَخْبِرْنِيْ عَنِ الإِيْمَانِ، قَالَ: "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآَخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ " قَالَ: صَدَقْتَ .قَالَ: فَأَخْبِرْنِيْ عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: "أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ."قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: "مَا الْمَسْئُوْلُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ" قَالَ: فَأَخْبِرْنِيْ عَنْ أَمَارَاتِها، قَالَ: "أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ ترى الْحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُوْنَ فِي الْبُنْيَانِ .ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْنا مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ:"يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ "قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "فَإِنَّهُ جِبْرِيْلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِيْنَكُمْ." صحيح مسلم- كتاب الإيمان- باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدرالله (١/٢٩٢)، رقم٩٣ و مسند أحمدبن حنبل، مسندالعشرة المبشرين بالجنة، مسندالخلفاء الراشدين رقم الحديث٣٦٥

٢) كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والاحسان ووجوب الايمان بإثبات قدرالله مسلم(٨)

٢- وعن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله: "لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما اخطأه لم يكن ليصيبه"[١].

٣- روى مسلم في الصحيح قال: "وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا أو كذا ، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل"[٢]

جـ: الإجماع: -

فقد أجمع جمهور المسلمين على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر قال النووى[٣] : "وقد تضافرت الأدلة القطعيات من الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة، وأهل الحل والعقد من السلف والخلف - على إثبات قدر الله سبحانه"[٤]

د: - دلالة الفطرة: -

الإيمان بالقضاء والقدر معلوم بالفطرة السليمة ، ولم ينكره إلا الدهريون والزنادقة والملحدون وقد وقع اللغط في فهمهما ولهذا قال - سبحانه - عن المشركين:﴿ سَيَقُولُ

---

١) رواه الترمذى في كتاب القدر، باب ماجاء في الإيمان بالقدر خيره وشره (٢١٤٤) وقال هذا حديث لانعرفه الا من حديث عبدالله بن ميمون، وهومنكرالحديث، ولكن الحديث له شواهد تؤيده، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذى (١٧٤٣)، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة(٢٤٣٩)

٢) صحيح مسلم كتاب القدرباب في الامربالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله رقم (٢٦٦٤) حكم المحدث: صحيح

٣) هويحيى بن شرف بن مرى بن حسن النووى، أبوزكريا محى الدين من أهل نوى من قرى حوران جنوبي دمشق.علامة في الفقة الشافعي والحديث واللغة، من تصانيفه المجموع شرح المهذب "ولم يكمله "، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، توفي ٦٧٦هـ (انظر:النجوم الزاهره٧٥/٢٧٨، طبقات الشافعية للسبكى ١٦٥/٥)

٤) شرح النووى لصحيح مسلم (١٥٥/١)



﴿ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [١] فهم أثبتوا المشيئة لله، لكنهم احتجوا بها على الشرك ، ثم بين سبحانه أن هذا هو شأن من كان قبلهم [٢] - ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [٣]

هـ- : دلالة العقل : -

العقل السليم يقطع بأن الله هو خالق هذا الكون ، ومدبره ، ومالكه ولا يمكن أن يوجد على هذا النظام البديع ، والتناسق المتآلف والأرتباط الملتحم بين الأسباب والمسببات هكذا صدفة ، إذ الموجود صدفة ليس له نظام في أصل وجوده ، فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره؟ فإذا تقرر عقلاً أن الله هو الخالق لزم ألا يقع شيء في ملكه إلا ما قد شاءه وقدره[٤]

---

١) الأنعام:١٤٨

٢) انظر:جامع البيان لابن جرير٥/٧٩

٣) الانعام:١٤٨

٤) انظر:الرياض الناضرة للشيخ عبدالرحمن السعدى ص١٩٤

المبحث الثاني : بعض الحقائق والمعطيات الإيمانية

تمهيد: – تشير بعض النصوص أن القضاء لا يرد ، ولا يتبدل، كقوله تعالى:﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1] وكقوله تعالى:﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾[2] و يثبت من البعض الآخر ما يشير– في ظاهره – إلى خلاف ذلك كما في حديث الرسول(ﷺ) "لا يرد القضاء إلا الدعاء.."[3] ولتحرير هذا الإشكال وبيان العلاقة بينهما كان لزاماً على أن أسلك بعض الخطوات الهامة ، للوصول إليها. وذلك اتباعاً لمنهج أئمة أهل السنة تصدير النظر في مباحث العقائد بالنظر في إثبات الحقائق أولاً، إذ على تقدير ثبوتها يمكن النظر والبحث في باقي المسائل الاعتقادية، وبانتفائها يستحيل النظر فيها.

ومن هذه الخطوات الإتيان ببعض الحقائق الهامة والمقدمات اللازمة وهي حقائق تتعلق – جوهراً– بعقيدة القضاء والقدر، فإذا استطعت أن أميط اللثام عنها استطعت أن أزيل هذا الإشكال البادي على سطح النصوص ، وهذا ما سأفعله – بإذن الله – في هذا المبحث. ولكن أود أن أنوه بأن هناك أموراً خلافية عديدة تتعلق بتلك الحقائق لن اتطرق إليها مفصلاً لعدم الإطالة ولكونها ليست محل البحث وسأكتفي بإشارات طفيفة لها في متن البحث أو هامشه كلما كان ذلك ضرورياً ، أما ما يستحق الوقوف سأقف عليه أو سأرجئ الرد عليه إلى حينه.

---

١) البقرة:١١٧

٢) الأحزاب:٣٨

٣) سنن الترمذي "كتاب القدر " باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء حديث رقم (٢١٣٩)

المطلب الأول: كون القضاء عقيدة مرتبطة بالعلم والإرادة والقدرة

هذه الحقيقة توضح أن عقيدة القضاء والقدر عقيدة ترتبط بصفات العلم والإرادة والقدرة ، وهذا الارتباط يعنى: أنه لا يؤمن العبد بأسماء الله وصفاته وآثارهما في مخلوقاته حتى يؤمن بسبق علم الله -تعالى- بكل شيء، وكمال قدرته، ونفاذ مشيئته وحسن تدبيره لخلقه بفضله ورحمته ، وعدله وحكمته وذلك يتطلب: -

أولاً: - إثبات صفة العلم: - [١] والعلم صفة من صفات المعاني ذلك لأن إبداع الأشياء إنما يكون من العلم بحقائقها ، فما من شيء في هذا الوجود بذراته ومجراته، وبخيره وشره، إلا وقد أحاط الله – تعالى علماً في الأزل. وقد اتفق على عموم علمه تعالى واستدل بالعديد من الآيات القرآنية الواردة في هذا السياق:- منها قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [٢] وقوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ [٣] وقوله جل جلاله:﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [٤]

١) هي صفة أزلية متعلقة بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات على وجه الإحاطة على ماهى به، من غيرسبق خفاء(تحفة المريد على جوهرةالتوحيد لإبراهيم البيجورى ص٤٣، وانظرأيضاً:المواقف للإيجى الموقف الخامس ص٢٨٧)

٢) الحشر:٢٢

٣) النساء:١٧٦

٤) يونس:٦١

فعلمه- تعالى- ذاتي، انكشف به كل الشؤون، وقد تناول هذا الكشف الواجبات والجائزات والمستحيلات[١] فلا يعزب عن علمه- تعالى- شيء منها ولا يقبل علمه – سبحانه – التغيير بحال ، فكل ما علم أنه سيكون ، لابد أن يكون ، وما علم أنه لا يشم رائحة الوجود لا يمكن بحال أن يشمها[٢] .

ويؤكد ذلك الإمام الغزالي[٣] إذ يقول: "إن الله تعالى عالم بجميع المعلومات ، محيط بما يجرى في تخوم الأرضين إلى أعلى السموات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، ويدرك حركة الذر في الهواء ، ويعلم السر وأخفي ، ويطلع على هواجس الضمائر، وحركات الخواطر، وخفيات السرائر، بعلم قديم أزلي ، لم يزل موصوفاً به في أزل الأزل لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالتحول والانتقال"[٤] .

ثانياً:- صفة الإرادة[٥] : كذلك إرادة الله – تعالى – هي صفة من صفات الذات ، الإيمان بها على أنها مكون من مكونات الإيمان بالقضاء والقدر، وتتعلق الإرادة حصراً بالممكنات

---

١)والعلم بذلك يكون عام التعلق لجميع المعلومات وليس مختصاً ببعض دون بعض، والا لزم الجهل والترجيح بلا مرجح وكلاهما باطل(تنويرالقلوب في معاملة علام الغيوب للشيخ محمدأمين الكردى الإربلى ص٣٥)

٢) انظر:شرح المواقف للشريف الجرجانى الموقف الخامس تحقيق أحمد المهدى ص١٠٨

٣) هوأبوحامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالى الملقب (حجة الإسلام) زين الدين الطوسى الفقيه الشافعى ولد عام ٤٥٠ وتوفي عام ٥٠٥هـ بالطابرانى(قصبة طوس)(وفيات الأعيان جـ١ص٥٨٨)

٤) كتاب الأربعين في أصول الدين ص ٨- ٩وانظرأيضاً:المطالب العالية من العلم الالهى جـ٣ص١٥٢-١٥٣

٥) الإرادة في اللغة :بمعنى القصد، ويراد منها المشيئة(راجع تحفه المريد على جوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم البيجورى ص ٧٨) والإرادة في الإصطلاح عند المتكلمين هى صفة ثبوتية قديمة قائمة بذاته تعالى أزلية تخصص الممكن ببعض مايجوز عليه من الأمورالمتقابلة.(راجع المواقف الموقف الخامس ص١٤٨ومابعدها، ٢٩١، وشرح المقاصد لسعد الدين التفتازانى جـ٢ص٣٣٧)

تعلق تخصيص ، ومالا يقبل التخصيص- بداهة - كالواجب الذاتي ، والمستحيل الذاتي لا تتعلق به إرادته تعالى(١) .

ومعلوم أن الإرادة صفة تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه(٢) ، ولولا التخصيص لكان من المحال وجوده ، لأنه يقبل المتناقضات ابتداء من الوجود والعدم ، وانتهاء بالكم والكيف والزمان والمكان(٣).

ومعلوم أنه لا يتحقق له الوجود بهذه المتناقضات معاً ، فكان لابد من أن يخصص ببعضها ومن الأمور الهامة المتعلقة بصفة الإرادة والخادمة لبيان حقيقة العلاقة بين الدعاء والقضاء وحل ما زعم من وجود إشكال فيما بينهما، كون الإرادة في كتاب الله نوعان: -

فإذا استعرضنا استعمال القرآن الكريم للفظ " الإرادة" منسوبة له - سبحانه - وجدنا أن لها في الآيات استعمالين: -

أ/ **بمعنى الإرادة الكونية :** أى التي تقابل الأمر الكوني والقضاء والقدر، فهي الإرادة التي يتم بها الأمر الكوني والقضاء والقدر، ومن ذلك قوله سبحانه:﴿إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ (٤) وقوله سبحانه:﴿وَلَـا

---

١) فلاتعلق لها بالواجب الذاتى، ولابالمستحيل الذاتى، لأن الأول - وهوالواجب - لايقبل التخصيص، إذا التخصيص يدور في إطار الإيجاد والإعدام، والممكن - وحده - هو الذى يقبل كلاً من الوجود والعدم على حد سواء، أما الواجب الذاتى فلايقبل الأنتفاء أصلاً، ووجوده ثابت أزلاً بلا مخصص، والمستحيل كذلك لايقبل التخصيص، لأنه لا يقبل"التبوت"بحال، وهو منتف انتفاء ذاتياً دون مخصص(انظر:التعريفات للجرجانى ٨٥ومابعدها).

٢) انظر:شرح المقاصد للتفتازانى جـ٤ص٢٧٤

٣) راجع :تحفة المريد على جوهرة التوحيد إبراهيم البيجورى ص٤١

٤) الزمر:٣٨

يَنْفَعُكُمْ نصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ (١) فالأفعال والأقدار التي تصيب العباد وتحدث في الكون فتسبب لهم الآلام أو غيرها إنما هى بإرادة الله وحده ، وهى نافذة لا مرد لها مادام الله – سبحانه – أرادها. فهى إذا إرادة كونية نافذة (٢) والمراد بها جبر مطلق على العباد ؛ حيث لم يجعل الله – تعالى – للعبد قدرة على الخروج عنها والتمرد عليها بحال من الأحوال ، فهى لا تتعلق بأفعال العباد الاختياريه التي هى التكليف والجزاء إلا من حيث أنه – تعالى – شاءها أن تكون أزلاً كذلك فكانت بياناً لعموم إرادته.(٣) ومن ذلك قوله تعالى﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ (٤)

فالمراد لله – سبحانه – إما ايجاد من عدم أى خلق ، وإما قضاء أى تغيير وأحداث بمخلوقات موجودة من قبل مثل قوله: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ (٥) ومراد الله إذا هو قدره حيث يقول: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ (٦) فالمراد لله – سبحانه – هنا هو مراد كونى وهو خلق أو قضاء أو قدر بالمعنى الكوني لها جميعاً فهو تعالى:﴿يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ (٧) وهو القائل:﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (٨)

---

١) هود:٣٤

٢) القضاء والقدرفي الإسلام د/فاروق أحمد الدسوقى ص٣٥٣ باختصار

٣) عقيدة المؤمن أبوبكرالجزائرى ص٣٥٤

٤)المائدة:١٧

٥) الرعد:١١

٦) الكهف:٨٢

٧) البقرة:٢٥٣

٨) البروج:١٦

ب/ المعنى الثاني للإرادة فهي الإرادة الدينيـة الشرعية :- وهى التي تقابل الأمر الابتلائي التخييري التشريعي كقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [1] أى أن الله بتشريعه وأوامره ودينه التخييرى الابتلائي لهم يريد لهم الآخرة ، وهذا المراد من الله لا يمكن أن يكون مراداً كونياً نافذاً وإلا لما وقع المؤمنون فيما وقعوا فيه من خطأ ، وإنما ذلك يعنى أن الله – تعالى – أراد أن يفعل المؤمنون كذا ولكنهم فعلوا خلاف ذلك. ومثل ذلك قوله – سبحانه – لنساء النبى (ﷺ) آمراً آمراً تشريعياً ابتلائياً بإرادة تشريعية ابتلائية كذلك: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [2]

فهنا– أيضا– إرادة تشريعية تكليفية تخييرية لابتلاء الإنسان، وليست إرادة كونية نافذة [3] وكقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [4] وقوله : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [5] أنه بدون التفرقة بين الأمر الكوني والأمر الابتلائي، وبين القضاء الكوني والقضاء الابتلائي وبين الارادة الالهية الكونية والإرادة الابتلائية سيكون الأمر غامضاً متناقضاً، وبالتفريق بينهما جميعاً سيكون الأمر واضحاً جلياً [6] من هذه الفروق مايلى: –

---

١) الأنفال:٦٧

٢) الأحزاب:٣٣

٣) انظرمنهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدريه لابن تيميه جـ٣ ص١٦ـــ ١٨

٤) البقرة:١٨٥

٥) النساء:٢٦

٦) راجع في ذلك : مدارج السالكين جـ٢ص١٤٠ ومابعدها، وشرح العقيدة الطحاوية للإمام أبى جعفر الطحاوى ص٣٦٣ـــ٣٦٤

١- الإرادة الكونية قد يحبها الله ويرضاها ، وقد لا يحبها ولا يرضاها ، أما الشرعية فيحبها الله ويرضاها ، فالكونية مرادفة للمشيئة ، والشرعية مرادفة للمحبة.

٢- الإرادة الكونية قد تكون مقصودة لغيرها كخلق إبليس - مثلاً - وسائر الشرور، لتحصل بسببها محاب كثيرة ، كالتوبة ، والمجاهدة ، والاستغفار. أما الشرعية فمقصودة لذاتها ، فالله أراد الطاعة وأحبها وشرعها ورضيها لذاتها.

٣- الإرادة الكونية لابد من وقوعها ، كإحياء أحد أو إماتته ، أو غير ذلك. أما الشرعية كالإسلام فلا يلزم وقوعها ، فقد تقع وقد لا تقع ، ولوكان لابد من وقوعها لأصبح الناس كلهم مسلمين[١]. فهذه الإرادة - أى الشرعية - هى المذكورة في مثل قول الناس لمن يفعل القبائح هذا مالايريده الله ، أى لا يحبه ولا يرضاه ولا يأمر به ، وهى نقطة خلافية سأشير إليها أشارة وجيزة لما لها من ارتباط بموضوع البحث وهى على قولين:-

القول الأول:- أن الإرادة تستلزم الرضى، وهو قول المعتزلة القدرية[٢] والجهمية[٣].

أ-فالمعتزلة القدرية قالوا:- قد علم بالدليل أن الله يحب الإيمان والعمل الصالح ولا

---

١) انظر:شفاء العليل لابن القيم ص١٠٥-١٠٦، وص ٥٨٥-٥٨٦

٢) كانت بداية ظهور حركة الإعتزال جواباً على السؤال الذى فرض نفسه أثر اختلاف المسلمين في مرتكبى الكبيرة"فقالت الخوارج كلهم كفار، وقالت المرجئة هم مؤمنون وقال الحسن البصرى هم منافقون فاعتزل واصل بن عطاء ومن تبعه وقالوا هم فساق وليسوا بمؤمنين ولا منافقين ولا كافرين وهذه منزلة بين المنزلتين "(انظر:البدء والتاريخ لأبوزيد أحمدبن سهل البلخى جـ٦ص١٤٢-١٤٤ وسميت قدرية:لأنهم قالوا أن العباد يفعلون مالايريده الله - ﷻ - و لم يقدره من أفعال الشروقالواهذا ليس بقدر الله وقد قدرالعباد على مالايريده الله من هذه الأعمال(انظرالزينة في الكلمات الإسلامية العربية تأليف الشيخ أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازى القسم الثالث تحقيق د/عبدالله سلوم السامرائى).

٣) نسبة إلى جهم بن صفوان الراسبي:كاتب الحارث بن سريج، تتلمذ للجعد بن درهم وقال عنه الذهبي:الضال المبتدع رأس الجهمية، أول من قال بالإجبار في الأعمال (انظر:الفرق للبغدادى ص٢١١)

يحب الفساد ، ولا يرضى لعباده الكفر، ويكره الكفر والفسوق والعصيان. ولما كان هــذا ثابتاً لزم أن تكون المعاصى ليست مقدرة له ولا مقضية [١] .

ب – أما الأشاعرة وعامة أهل السنة:– فقالوا قد ثبت بالكتاب والسنة والإجمــاع أن الله خالق كل شيء وربه ومليكة ، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكــن ، فــالأمور كلــها تقــع بإرادته[٢]، وأن النصوص الواردة في المشيئة وإلإرادة وفي المحبة والرضــى لــيس بينــهما تعارض مطلقاً إذا أعطيت حقها من الفهم والتفسير الصحيح [٣] .

وذلك كما أوضحت – سابقاً – بأن الإرادة في النصوص لا تحمل معنى واحد والحق أنها نوعان ، إرادة كونية وأخرى تشريعية ، وهذا لا يعنى تعدد الإرادة وإنما هــى واحــدة كصفة لله – سبحانه – ولكنها إذا صدرت للمخلوقات بكلمة كن ، أو بأى أمر تشريعى أو بقضاء معين ، فإنها تصبح ابتلائية تخييرية للإنس والجن وكونية لغيرهما مــن المخلوقــات التي لم تخلق للإبتلاء. فالأمر إلاهي واحد ولكنه كونى لكائن وابتلائى لآخر وذلك كمــا في قوله للملائكة:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ [٤] فالأمر أو القضــاء أو الإرادة إلإلهية واحدة ، ولكنها بالنسبة للملائكة كونية ، حيث لا يعصون الله ما أمــرهم ،

---

١) راجع في ذلك :شرح الأصول الخمسة للقاضى عبدالجبارص٤٠٩، ٤٦١ تحقيق د/عبدالكريم عثمــان، والمحيط بالتكليف المجلد الأول ص ٢٥٤، ٢٨٦ ومابعدها (وهذا ماأوقعهم في مشــكلة خلــق أفعــال العبادكما سيتضح ذلك في حينه.)

٢) انظراللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع للأشعرى ص٤٨ ومابعدها

٣) راجع تفصيل ذلك في:الاستقامة جــ٢ص٧٨-٧٩، مدارج السالكين جـــ٢ ص١٤٣ومابعــدها، ومفتاح دارالسعادة ص٣٩٤

٤) الكهف: ٥٠

وبالنسبة لإبليس الذى كان من الجن وهو حرمبتلى أمراً ابتلائياً ، ومن ثم فإن إبليس عندما فسق عن أمرربه لم يخرج عن أمرربه الكوني وإنما خرج وعصى الأمر الابتلائي التشريعى بالسجود[١].

ثالثاً: صفة القدرة[٢] :- يجب الإيمان – أيضاً – بصفة القدرة بكونها من مكونات الإيمان بالقضاء والقدر؛ لأن مجال القدرة: الإيجاد والإعدام والإمداد ، لذا لا تتعلق إلا بالممكن[٣] سواء كان كلياً أو جزئياً جسماً أو عرضاً ، ويشمل ذلك ما له سبب كأفعالنا الاختيارية من حركات وسكنات عند وجوب السبب وهو تعلق القدرة الحادثة [٤] بالمقدور على وجه المصاحبة ، وكالإحراق عند مماسة النار، والشبع عند الأكل، ويشمل – أيضاً – مالا سبب له كالسموات والأرض فلا تأثير لغيره تعالى في شيء ما[٥] ودليلها القرآني قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[٦] وعليه

---

١) القضاءوالقدرفي الإسلام فاروق أحمد الدسوقى ص٣٥٨-٣٥٩ بإختصار

٢) القدرة لغة:بمعنى القوة والاستطاعة،وضدها العجزواصطلاحاً:صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى يتأتى بها ايجاد كل ممكن وإعدامه، على وفق علمه تعالى وإرادته(انظر:أرجوزة جوهرة التوحيد للإمام ابراهيم بن حسن اللقانى مع شرحها تحفه المريدص ١٣٨"القسم الأول) وقد اختلف في مفهوم القدرة بين المتكلمين (راجع :قضية الألوهية عند المتكلمين د/حامدعلى الخولى ص٧٨)

٣) لأنه هو القابل للإيجاد والإعدام، أماالواجب والمستحيل فلاتتعلق بهما، لأنهما إن تعلقت بالواجب فلايصح أن تعدمه، لأنه لايقبل العدم، ولايصح أن توحده، لأنه يلزم منه تحصيل الحاصل، وإن تعلقت بالمستحيل، فعلى العكس من ذلك (أرجوزة جوهرة التوحيد لإبراهيم اللقانى، القسم الأول ص١٣٩).

٤) وتعلقات القدرة ثلاث:تعلق صلوحى قديم :أى صالحيتها قبل وجود الممكنات للتعلق، تعلق تنجيزى حادث :والمراد به تنجيزوجود الشيء وتبرزه من العدم إلى الوجود والعكس وهو شأن الله الذى أخبر عنه بقوله:"كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ"(الرحمن:٢٦) وتعلق القبضة:بمعنى أن الممكن بعد أن يوجده الله هوفي قبضة القدرة إن شاء أبقاه موجوداً، وإن شاء أعدمه عند حلول وقت عدمه أو موته(راجع : تحفة المريد على جوهرة التوحيد للبيجورى ص٤٥).

٥) انظرتنويرالقلوب في معاملة علام الغيوب ص٢٩

٦) فاطر:٤٤

تبرز القدرة فيما لايزال ما خصصته الإرادة – أزلاً – كما خصصته ، على أن تخصيص الإرادة يطابق ما تعلق به علم الله تعالى[١] .

مما سبق يتبين بأن القضاء والقدر عقيدة تتعلق بصفات العلم والإرادة والقدرة ، فكل ما كان وما يكون وما سيكون إنما هو بخلق الله وبعلمه الذى لا يتغير، وبإرادته التي لا يغلبها مغالب. إذ هو القاهر فوق عباده ، فجميع الخلائق مقهورون بقدرته ، ولاتتحرك ذرة إلا بإذنه ، ليس معه مدبر في الخلق ولا شريك في الملك﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾[٢] وما ذلك إلا لعموم علمه وإرادته وقدرته[٣]

المطلب الثانى : قاعدة الأخذ بالأسباب وربطها بمسبباتها : -

الإيمان بالقضاء لاينافي الأسباب ، فإن الأسباب من قدرة الله سبحانه ، وربط المسببات بأسبابها هو مقتضى الحكمة التي هى من أعظم وأجل صفاته ، والتي أثبتها الله – تعالى – لنفسه في مواضع من كتابه كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[٤] ولكن هذه القاعدة الإيمانية لم يتلقاها الجميع بمفهومها الصحيح، وكما كان ينبغى أن يتلقوها ، وخاصة أن لها دلائلها العديدة من القرآن والسنة والعقل وعالم المشاهدة ، لذا سأحاول جاهدة – بقدرالمستطاع – أن ألقى الضوء عليها ؛ لأن لها اليد الطولى في الإسهام للوصول إلى النتيجة التي يبحث عنها من خلال موضوع البحث.

---

١) وقد خالف في ذلك الفلاسفة حيث ارجعوا صفة القدرة إلى صفة العلم، حيث ذهبوا إلى أن ايجاده للعالم من لوازم ذاته فيمتنع خلوه عنه فأنكروا القدرة بالمعنى المذكور، لأعتقادهم أنه نقصاً واثبتوا له الإيجاب زعماً منهم أنه الكمال التام(المواقف للايجى ص٢٧١)

٢) الأنبياء:٢٣

٣) انظر:تنويرالقلوب:محمد أمين الكردى ص٤١

٤) النساء:١٧

أولاً: تعريف الأسباب: جمع سبب وهو كل حادث رتب الله - تعالى - عليه أثراً(١)

وهي نوعان: أولهما الأسباب القدرية: وهي كل حادث مؤثر بقضاء الله وقدره. ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ (٢) فجعل الرياح سبباً لإثارة السحاب الذى يكون به الغيث ، وكجعل الماء سبباً للحياة ، والنار سبباً للإحراق.

وثانيهما: أسباب شرعية: وهي كل فعل مطلوب من العبد ، وهوما رتب الله عليه ثواباً أو عقاباً. فهو سبب شرعي بهذا الاعتبار، وهو سبب قدرى باعتبار وقوعه بقضاء الله وقدره(٣)

ثانياً: - تعدد الآراء والأقوال في ارتباط الأسباب بالمسببات: -

إذا تتبعنا حال المسلمين منذ نزول الوحى على الرسول الكريم(ﷺ)حتى عصر ترجمة العلوم إلى العربية ، سنجدهم على عقيدة واحدة وهى أن كل ما يحدث في الكون إنما هومن خلق الله - تعالى - وتأثيره وفقاً لإرادته وقدرته تعالى(٤) وقد آمن المسلمون بها بناء على إيمانهم أن القدرة هى أخص وصف لله تعالى، ولاستمدادها من القرآن الكريم(٥) حيث

---

١)انظر:التعريفات للشريف الجرجانى ص١٢٠، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٤٦٤

٢) الروم:٤٨

٣) انظر:إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم جـ١ ص٥١٨

٤) انظرفي ذلك :الفرق الإسلامية في الميزان د/يحيى هاشم حسن فرغل ص٩ ومابعدها

٥) إذ توجد آيات عديدة يظهر فيها التقابل بين الإله الحق والآلهة الباطلة التي كان الناس يعبدونها قبل الإسلام، وتبين الآيات أن الإله الحق هو الذى يملك القدرة على الخلق والإيجاد، بينما الآلهة الباطلة عاجزة وليس لديها أى قدرة قال تعالى :" أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ "(الأعراف:١٩١، ١٩٢)

وجدت آيات قرآنية عديدة تتحدث عن ذلك كما في قوله:-﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾[١]

وبلا شك فقد كان لهذه الآية ومثيلتها الأثر الكبير على عقيدة المسلمين الأوائل – سواء من الصحابة أوالتابعين أو تابعيهم – فآمنوا جميعاً أن الله – سبحانه – بقدرته وأمره هو السبب الحقيقى لكل صغيرة وكبيرة تحدث في العالم[٢] ولكن لم يستمر هذا الأمر كثيراً لعوامل عديدة حيث وجدنا الفرق الكلامية انقسموا في هذا الشأن إلى أربعة آراء.الأول: طائفة أنكروا تأثير الأسباب بنفسها: – وجعلوها مجرد علامات يحصل الشيء عندها لا بها وهم الأشاعرة أتباع أبى الحسن الأشعرى[٣] إذ ينفون الاقتران الضرورى بين الأسباب والمسببات كما قال الفلاسفة[٤] ويؤكد ذلك الإمام الغزالى إذ يقول: "أن الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً ، وما يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا[٥] وذهبوا إلى أن الأسباب لا

---

١) عبس:٢٥-٣٢

٢) انظر:نظرية السببية في الفكر الكلامى الإسلامى د/عبدالعزيزسيف النصرص٦ــ٧

٣) هوأبوالحسن على بن اسماعيل بن موسى الاشعرى صاحب الاصول والقائم بنصره مذهب أهل السنه وإليه تنسب الطائفة الاشعرية، وكان أولاً معتزلياً ثم انخلع عن مذهب الاعتزال، قال ابن حزم له خمسة وخمسون تصنيفاً وتوفي سنة ٣٣٠هــ (سيرأعلام النبلاء ١٥/٨٦-٨٧، والاعلام ٥/٦٩)

٤) حيث يرون بأن هذا الاقتران المشاهد في الوجود بين الأسباب والمسببات اقتران تلازم بالضرورة (انظر:تهافت الفلاسفة للإمام الغزالى ص١٧٦).إذ نجد ابن سينا يذهب إلى القول بأن هناك ضرورة حتمية تلف الكون كله وتحيطه ولاتسمح بأن يقع شيء أو حدث أو فعل في الكون الاعقتضى العلل الطبيعية المتواترة المعروفة لهذا الشيء (انظر:ابن سينا رسالة في سرالقدر ص٣ومابعدها من كتاب الاشارات والتنبيهات جــ٣، والفارابى في السياسات المدنية ص١٨ من رسائل الفارابى)

٥) تهافت الفلاسفة ص١٧٦

تأثير لها ، وإن كان الظاهر يوحى بغير ذلك ، وأن المؤثر هو الله سبحانه ثم جعلوا تلازماً عادياً بين الأسباب والمسببات ، أى يمكن أن يتخلف وذلك حتى يصح الإيمان بالمعجزات ولتوضيح الأمر وبيانه قالوا بأن النار تحرق لكنها ليست هى المؤثرة بل الله – سبحانه هو المؤثر الحقيقى بأن خلق الاحتراق ، وهذا ما دعى الإمام الغزالى إلى القول: "فما الدليل على أنها الفاعل؟ وليس لهم دليل إلا مشاهدة حصول الاحتراق عند ملاقاة النار، والمشاهدة تدل على الحصول عندنا، ولا تدل على الحصول بها، وأنه لاعلة له سواها"[١]

كما أردف قائلاً:"أن الحادثات كلها جواهرها وأعراضها الحادثة منها في ذات الأحياء والجمادات واقعة بقدرة الله تعالى ، وهو المستبد باختراعها ، وليس يقع من بعض المخلوقات ببعض، بل الكل يقع بالقدرة[٢] . كمايقول ابن حزم[٣] في هذا: – ذهبت الأشعرية إلى إنكار الطبائع جملة وقالوا ليس في النار حر، ولا في الثلج برد ، ولافي العالم طبيعية أصلاً[٤] وعرف من قولهم – أيضا – استحالة أن يكون لشيء من العالم تأثير البتة في أثرما ومن يقول ذلك – لديهم – فهو كافر مشرك ؛ لما يلزم عليه من خروج ذلك الأثر عن قدرة الله وإرادته ، وذلك يوجب أن يغلب الحادث القديم وهو محال فلا أثر إذا لقدرة

---

١) المرجع السابق ص١٧٧(والغزالى هنااستناداً على هذا المثل يرى أن النتيجة التي أنتهى إليها هي حق بالنسبة لكل الحوادث المتتابعة في الطبيعية).

٢) الإمام الغزالى الاقتصاد في الاعتقاد ص٦٠ ، وانظرأيضاً:كتاب التمهيد للقاضى أبوبكرالباقلانى ص٥٢ــ٦٨ تحقيق د/الخضيرى ود/أبوريدة

٣) هو الإمام الأوحد ذو الفنون والمعارف، أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم، ولد أبومحمد بقرطبة سنه ٣٨٤هـ وكان ينهض بعلوم جمة، ويجيد النقل، ويحسن النظم والنثر، وقد زهد في الرئاسة ولزم مترله مكبا على العلم (سيرأعلام النبلاء جـ ١٨ ص١٨٤)

٤) الفصل في الملل والنحل جـ٥ ص١٤ــ١٥

المخلوق في حركة ولا سكون ولا طاعة ولا معصية ولا في أثر ما على العموم لا مباشرا ولا تولد[١]

الرأى الثاني: – حيث خالف هذا الاتجاه بعض المتكلمين من المعتزلة فاثبتوا السببية في الأشياء الطبيعية، وقالوا بتأثير الأشياء بعضها في بعض[٢] ونجد من الذين أثبتوا السببية اثنين من المعتزلة هما "النظام"[٣] و"معمر"[٤] أما معمر من خلال ما قرره مؤرخوا الفرق نستنتج مذهبه بأن الأشياء الطبيعية بها قوة تأثيرية في بعضها البعض. بحيث توجد أشياء لم تكن موجودة من قبل فيقول البغدادى[٥] عنه: "إنه يقول: إن الله تعالى لم يخلق شيئاً من الأعراض من لون أو طعم أو رائحة أو حياة أو موت أو سمع أو بصر، وأنه لم يخلق شيئاً من صفات

---

١) شرح العقيدة الوسطى، محمد بن يوسف السنوسى ص٨٠(والتولد الوارد في النص عند المعتزلة هوالفعل الصادرمن الفاعل بوسط، ويقابله المباشرة وهو الفعل الصادر بلا واسط وقد لجأوا إليه لأنهم أسندوا أفعال العباد إليه وهذا باطل عند الأشاعره لأستناد جميع الممكنات إلى الله أبتداءاً "انظر:كشاف اصطلاحات الفنون ١٤٢٧/٢"ومذهب الأشاعرة هذا قد وجد له أنصارفي الفلسفة الحديثة، وقال به فلاسفةكبار لهم شأنهم عندالعلماء التجربين المحدثين، وقد قرروا أن السبب انما هو ظاهرة تقترن بالشىء، وليست هى علة وجوده، ومهمه العلم الآن هى وصف الظواهرالمقترنة، وليس مهمته أن يصل إلى العلل ولاسيما العلة الأولى كما كانت تفعل الفلسفة قديماً ومن هؤلاء (دافيدهيوم)الذى أنتهى إلى أن فكرة السببية باطلة، وأنها لم تكتسب مابها من قوة إلا بالعادة وحدهاوتكرارهافاهتدى إلى مسمى السببية (انظر:قصة الفلسفة الحديثة د/زكى نجيب محمود وأ/أحمد أمين ص٢٣٧ــــ٢٤٠)

٢) انظر:المحيط بالتكليف للقاضى عبدالجبار المجلد الأول ص٣٨٠

٣) هو إبراهيم بن سيار بن هانىء البصرى أبواسحاق من ائمة المعتزلة تبحرفي علوم الفلسفة وانفرد بآراء خاصة، تابعته فيها فرقته المسماه النظامية، وكان يميل للطبيعيين وعنه أخذ الكعبى مذهبه في الارادة.(طبقات المعتزلة لابن المرتضى ص ٤٩، الفرق بين الفرق للبغدادى ص١٣١)

٤) وهو أبوعمرمعمربن عباد السلمى، تفرد بمذاهب وهو من القدرية، وكان يميل لمذهب الفلاسفة، ومن تلاميذه عيسى بن صبيح المردار، وانفردعن أصحابه بمسائل منها الأجسام والأعراض وكلام الله، الحركة والسكون ... توفي سنة ٢١٥هـــ ٨٣٠م
(انظر:سيرأعلام النبلاء جـــ٧ ص٢٧٢)

٥) هوالإمام المحدث المتقن صاحب التصانيف الجليلة والآثار المنيرة تتلمذ على جهابذة عصره وعلماء وقته ... الشيخ :عبد القاهر البغدادي. وكان من العلماء البارعين، وأحد أعلام الشافعية في عصره، وهو صاحب كتاب الفرق بين الفرق (انظر:سيرة أعلام النبلاء جزء١٨ ص ١٦٩)

الأجسام"[١] ويؤكد ذلك صاحب الملل والنحل إذ يقول: "أن الله لم يخلق شيئاً غير الأجسام أما الأعراض ، فأنها من اختراعات الأجسام ، إما طبعاً كالنار التي تحدث الأحراق ، والشمس الحرارة ، والقمر التلوين ، وإما اختياراً كالحيوان يحدث الحركة والسكون والاجتماع والافتراق"[٢]

و"النظام" انتهى به الأمر– أيضاً – إلى القول بوجود طبيعة في كل جسم ، وهذه الطبيعة هى السبب في كل الحوادث والمتغيرات في العالم ، وأصل هذه الطبيعة أن الله – تعالى – قد بثها في الأجسام وقت خلقه – تعالى – للعالم [٣] وقد أضاف أنها خاضعة لسيطرة الله تعالى وإرادته. فمن الواضح أن المعتزلة كفرقة لم تكن على قول واحد في هذا الشأن ، حيث نجد جمهورهم مع الأشاعرة في أن الله – تعالى – هو السبب المباشر لكل الحوادث في العالم ، من أجسام أو أعراض قائمة بالأجسام ، وأنه لا توجد علاقة سببية بين الحوادث المتعاقبة في العالم الطبيعي.

وعلى جانب آخر نرى "النظام" الذى يقول أن العالم محكوم بواسطة قوانين السببية التي بثها الله – تعالى – في العالم وقت خلقه ، وهى خاضعة لسيطرة الله وإرادته ، بينما نجد قول ثالث "لمعمر"، الذى يرى أن العالم محكوم بواسطة قوانين السببية وبالرغم من أن الله تعالى هو الذى خلق العالم ، فإنها تعمل مستقلة عن الله وغير خاضعة لإرادته ولا يستطيع تغييرها ، ومن هنا بدأ الغلو في إثبات تأثير الأسباب في مسبباتها ، حيث كان القول بأنها مؤثرة بذاته"[٤] .

---

١) الفرق بين الفرق ص١٥١

٢) الشهرستانى جـ١ص٦٥، انظر أيضاً:الانتصارللخياط ص٨٠، ومقالات الاسلاميين للأشعرى جـ٢ ص٢٢٧

٣) انظر:الانتصارللخياط ص٧٦، انظرأيضاًابن حزم:الفصل في الملل والنحل جـ٣ ص٥٨

٤) انظر:المحيط بالتكليف المجلد الأول ص٣٤٠ومابعدها

لذا نجد "ابن حزم" على الرغم من اثباته للسببية بين الأشياء الطبيعية نجـده يعـارض "معمر" فيما ذهب إليه إذ يقول: "فمن نسب إلى ما يظهر منها أنها أفعالها مخترعة لها ، فهـو في غاية الجهل وبالضرورة نعلم أن تلك الأفعال خلق غيرها فيها ، ولا خالق هاهنا إلا خالق الكل ، وهو الله لا إله إلا هو"(١) .

القول الثالث: – الذين اثبتوا للأسباب تأثير في مسبباتها لكن لا بذاتها بل بمـا أودع الله – تعالى – فيها من القوى الموجبة ، وبعد مشيئة الله وإذنه الكوني والقدرى.

وفعل الأسباب لا ينافي الإيمان بالقضاء والقدر ، بل إن مباشرتها مـن تمـام الإيمـان بالقضاء والقدر. فلا تتم مصالح العباد في معاشهم إلا بدفع الأقدار بعضها ببعض، فكيـف بمعادهم ، فإن الله – تعالى – أمرنا أن ندفع السيئة وهى من قضائه وقدره ، بالحسنة وهـى من قضائه وقدره (٢) ونصوص الكتاب والسنة حافلة باتخاذ الأسباب(٣) المشروعة في مختلف شؤون الحياة منـها: قولـه تعـالى:﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾(٤) وقولـه تعـــالى :﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾(٥)

كما روى الإمام البخارى عن عمر بن الخطاب وعن الصحابة– رضوان الله علـيهم– أن عُمَرَ بنَ الخطَّابِ رضي اللهُ عنه خرَج إلى الشامِ ، حتى إذا كان بِسَرغَ لَقِيَه أمَراءُ الأجنادِ

---

١) الفصل في الملل والنحل جــ٥ ص١٦

٢) انظر:شرح كتاب التوحيد من صحيح البخارى للشيخ عبدالله الغنيمان ٢/٦٢٩

٣) إذا أورد الحافظ ابن القيم كثير من أنواع ربط الأسباب بمسبباتها مـن خلال القرآن الكريم (انظرشفاء العليل ص٣١٦ــ٣١٧، ومدارج السالكين جــ٢ص٣٩ ومابعدها)

٤) الجمعة:١٠

٥) الأنفال:٦٠

، أبو عُبَيدَةَ بنُ الجرَّاحِ وأصحابُه، فأخبَروه أن الوَباءَ قد وقَع بأرضِ الشأمِ. قال ابنُ عباسٍ: فقال عُمَرُ: ادعُ لِي المهاجِرينَ الأوَّلِينَ، فدعاهم فاستشارَهم، وأخبَرهم أن الوَباءَ قد وقَع بالشأمِ ، فاختلَفوا ، فقال بعضُهم: قد خرَجْتَ لأمرٍ، ولا نَرى أن تَرجِعَ عنه ، وقال بعضُهم: معَك بقِيَّةُ الناسِ وأصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، ولا نَرى أن تُقدِمَهم على هذا الوَباءِ، فقال: ارتَفِعوا عني ، ثم قال: ادعُ لِي الأنصارِ، فدعَوتُهم فاستشارَهم ، فسلَكوا سبيلَ المهاجِرينَ ، واختلَفوا كاختلافِهم ، فقال: ارتَفِعوا عني ، ثم قال: ادعُ لِي من كان ها هنا من مَشيخَةِ قُرَيشٍ من مُهاجِرَةِ الفتحِ، فدعَوتُهم ، فلم يختَلِفْ منهم عليه رجلانِ ، فقالوا: نَرى أن تَرجِعَ بالناسِ ولا تُقدِمَهم على هذا الوَباءِ ، فنادى عُمَرُ في الناسِ: إني مُصَبِّحٌ على ظهرٍ فأصبِحوا عليه. قال أبو عُبَيدَةَ بنُ الجرَّاحِ: أفِرارًا من قدَرِ اللهِ ؟ فقال عُمَرُ: لو غيرُك قالها يا أبا عُبَيدَةَ ؟ ! نعمْ نَفِرُّ من قدَرِ اللهِ إلى قدَرِ اللهِ، أرأيتَ لو كان لك إبلٌ هبطَتْ واديًا له عُدْوَتانِ ، إحداهما خِصبَةٌ ، والأخرى جَدبَةٌ ، أليس إن رَعَيتَ الخِصبَةَ رَعَيتَها بقدَرِ اللهِ ، وإن رَعَيتَ الجَدبَةَ رَعَيتَها بقدَرِ اللهِ ؟ قال: فجاء عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ، وكان مُتَغَيِّبًا في بعضِ حاجتِه ، فقال: إن عِندي في هذا عِلمًا، سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ: (إذا سَمِعتُم به بأرضٍ فلا تَقدَموا عليه، وإذا وقَع بأرضٍ وأنتم بها فلا تَخرُجوا فِرارًا منه) . قال: فحمِدَ اللهَ عُمَرُ ثم انصرَفَ [١]

كما أمرنا – سبحانه – باتخاذ الأسباب الشرعية التي تؤدى إلى رضوانه كالصلاة والزكاة والصيام والحج."وحياة الرسول(ﷺ) وأصحابه والسائرين على نهجهم كلها شاهدة على أخذهم بالأسباب والإجتهاد فيها ، ولهذا تحركوا وعملوا وانطلقوا في كل المجالات ، حتى استطاعوا أن يكونوا دولة الإسلام الفتية في أقصر مدة من عمر الزمن"[٢]

---

١) صحيح البخارى كتاب الطب، باب مايذكر في الطاعون (٥٧٢٩) ومسلم في كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة (٢٢١٩)

٢) نظرات في العقيدة الإسلامية د/محمد الأنور ص١٣٣

كما أن ما سبقت به المقادير لا يقتضي ترك الأعمال والأخذ بالأسباب ، ولقد جاءت الشرائع السماوية كلها آمرة بالعمل ، وداعية إليه ، وحاثة عليه ، كما ناشد القرآن الكريم الانسانية كلها في مزاولة المهن والأعمال المختلفة[1] كما احيط العباد علماً بأن الله يرى أعمالهم ورسوله المصطفي والصالحين من عباده فقال عز من قائل: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [2] وكقوله تعالى:﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [3] ولقد سلكت السنة المطهرة عين الطريق ونفس السبيل حيث قال رسول الله(ﷺ) "...ما من نفس منفوسه إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتب شقية أو سعيدة فقال رجل: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل ؟ فقال "اعملوا فكل ميسر "أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة"[4] ثم قرأ"﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [5] فدل هذا الحديث

---

١) انظر:آيات الدعاء في القرآن الكريم "الدعاء والقضاء والقدر"محمد محموداً حمدو د/موسى الخطيب ص٢٣

٢) التوبة:١٠٥ (وقد ورد لفظ العمل ومشتقاته في القرآن الكريم مائةوإحدى وتسعين مرة منبثة في ثمان وستين سورة وفي أكثرمن(٢٥) جزءاً من القرآن الكريم، ويفهم من هنا مدى اهتمام الإسلام بالعمل (انظر: المرجع السابق ص٢٣ومابعدها).

٣) فصلت:٤٠

٤) أخرجه البخارى في كتاب الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبروقعودأصحابه حوله (١٣٦٢) ومسلم في كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمى في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٢٦٤٧)

٥) الليل: ٥- ١٠

ونظائره على أنه لا يترك العمل اتكالاً على القدر، وإنما يجب الجد والاجتهاد ، كذلك دل على أنه ليس لأحد أن يحتج بالقدر على فعل المعاصي وترك الطاعات ، فمن الذى اطلع على ما كتب قدراً ليعلم أنه كتب عليه هذا أو ذاك ؟ وإذا كان لم يطلع على ما كتب فهل له أن يحتج بالقدر على فعله؟! لذا فالكل مأمور بفعل الطاعات ، ومنهى عن فعل المعاصى وكل ميسر لما خلق له ، ولكلا الحالتين أسباب ، ولذلك قرأ النبى (ﷺ) الآية الكريمة السابقة[١] .

ويؤكد ذلك ابن القيم [٢]- رحمه الله- إذ يقول: اتفقت الأحاديث الواردة في هذا الباب على أن القدر السابق لا يمنع العمل ، ولا يوجب الاتكال[٣] عليه بل يوجب الجد والاجتهاد ، ولهذا لما سمع بعض الصحابة ذلك القول: "ماكنت أشد اجتهاداً منى الآن ، وهذا يدل على جلالة فقه الصحابه – فإن النبى أخبرهم بالقدر السابق وجريانه على الخليقة بالأسباب ، والعبد ينال ما قدر له بالسبب الذى أقدر عليه ، ومكن منه ، وهيىء له

---

١) انظر تفصيل ذلك في الجامع لأحكام القرآن لابن العربى جـ٤ص١٩٤٤، وشرح السنة للبغوى جـ١ص١٣٣

٢) هوأبوالفرج عبدالرحمن بن أبي الحسن على بن محمد القرشى التميمى البكرى فقيه حنبلى محدث ومؤرخ ومتكلم ولد في بغداد ٥٠٨هـ وتوفي ٥٩٧هـ (سيرة أعلام النبلاء الجزء الحادى والعشرون ١٩٢/٣٦٥)

٣) وفي الحقيقة هناك فرق كبير بين التوكل والتواكل، فالتوكل هو القوة الدافعة للهم، الباعثة للعزائم، المجددة للأنشطة، المرشدة للخير، المؤدية للظفروالنجاح أما التواكل :فلم يرد لفظه ولا مرادفه، ولامشتق من مشتقاته في القرآن الكريم إذ هو ترك العمل، وعدم الأخذ بالأسباب، وهذا لايليق بابن آدم الذى خلقه الله على صورته، واستخلفه في ملكه وكرمه على سائر خلقه بأن اصبح كل ماعداه مذللاً مسخراً له كماأن التواكل هو العجزبعينه، والسلبية المقيته المنتزعة للإيمان من القلوب المتمردة على أوامر الله. انظر:تنويرالقلوب :محمد أمين الكردى ص٤٧٥: ٤٨٤، وإحياء علوم الدين للإمام الغزالى جـ٤ص٢٥٣

، فإذا أتى بالسبب أوصله إلى القدر الذى سبق له في أم الكتاب ، وكلما زاد اجتــهاداً في تحصيل السبب كان المقدور أدنى إليه.... وذلك كمن قدر له الشبع والرى فذلك موقوف على الأسباب المحصلة لذلك من الأكل والشرب ، وذلك شأن أمور المعاش والمعاد ، فمــن عطل العمل اتكالاً على القدر السابق ، فهو بمنزلة من عطل الأكل والشرب والحركــة في المعاش وسائر أسبابه اتكالاً على القدر، وقد فطر الله عباده على الحرص على الأسباب التي بها مراد معاشهم ومصالحهم الدنيوية ، بل فطر على ذلك سائر الحيوانات فهكذا مصالحهم الأخروية في معادهم"[١] ويكفي الإنسان أن ينظر في القرآن الكريم ليتأكد بنفسه من دعــوة الحق– سبحانه–له إلى الأخذ بالأسباب والعمل اذ يقول عزمن قائل:﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ﴾[٢] كما يؤكد ذلك خاتم المرسلين بقوله: "لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتى الجبــل فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل النــاس أعطوه أو منعوه"[٣] كما يقول: "ما أكل عبد طعاما قط خيراً من أن يأكل من عمل يده"[٤]

وليس العمل المذكور في تلك الأدلة: إلا الأخذ بالأسباب والابتعــاد عــن التواكــل والسلبية. وقد أخطأ البعض حينما فهم معنى التوكل أنه أمر مقتضى لترك العمــل وعــدم الأخذ بالأسباب وعليه فقد عطل كل مدركاته الحسية والعقلية وسكن ســكون الجمــاد، معللاً ذلك بأن كل شيء من الله وإلى الله، وظن هذا الصنف من الناس أنهــم بــذلك قــد وصلوا إلى الكمال المطلق في عبوديتهم لله سبحانه، وفي الحقيقة هذا الصنف أقل حالاً مــن الحيوان، إذ غريزة الحيوان تدفعه إلى الحركة والسعى والتوجه إلى ما ينفعه، والبعــد عمــا يضره، أى أن الحيوان مفطور على مباشرة الأسباب التي بها قوامه وحياته، ولوكان التوكل

---

١) شفاء العليل:ص ٥٦، وانظرأيضاً : مدارج السالكين جــ٢ص٨٧

٢) الملك:١٥

٣) أخرجه البخارى في صحيحه كتاب الزكاة باب قوله تعالى:"لايسألون الناس إلحافاً"٢/١٥٤

٤) أخرجه البخارى في صحيحه كتاب البيوع باب كسب الرجل وعمله بيده٣/٧٤

كما فهموه، لما أمر الله به أنبياءه، وما مدح الله المتصفين به وأثنى عليهم[١] كما في قوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [٢]

القول الرابع :غلاة الصوفية: الذين ذهبوا بناءً على عقيدتهم الفاسدة في القول بوحدة الوجود إلى أن يستوى عندهم الخالق والمخلوق، العلة والمعلول، السبب والمسبب ، الرتبة والمرتبة ، فبالتالي لا وجود لديهم بالقول بالسبب أو غيره([٣])

ومن الملاحظ أننا إذا عدمنا تحصيل اليقين القاطع للتراع السابق ، فلا نعدم الظن المفضى لترجيح الصواب على وجه تطمئن إليه النفوس ، فأقول: إن الغالب في الظن أن أنصار القول الأول الأشاعرة وأتباع القول الثالث ليس بينهم بون شاسع فيما ذهبا إليه ، فنجد أنصار القول الأول يقولون بنفي التأثير للسبب منذ البداية والقول صراحةً بالمؤثر الحقيقى وهو الله تعالى ، بينما منح أنصار القول الثالث التأثير والفاعلية للأسباب ظاهرياً ؛ حيث أحالوها في نهاية المطاف إلى مسبب الأسباب وهو الله تعالى ، لذا كان الأحرى بالقبول قول الأشاعرة لبيانهم المؤثر الحقيقى بدون لبس أو أبهام وخاصة على العوام وقبول معجزات الانبياء

وفي نهاية عرض تلك الحقيقة: قد تبين أنه اقتضى عدله – سبحانه – وحكمته وعلمه أن يرتب خروج الأشياء على الأسباب ، فكلما أخذ الفرد بالسبب الذى وجهنا الله إليه

---

١) راجع في ذلك :الجواب الكافي لابن القيم الجوزية ص٢١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ٩ص٣٠٩

٢) الطلاق:٣

٣) راجع الفتوحات المكية جـ٣ص٤٥٢، وجـ٤ص١٠٠



وربط ذلك بمشيئتة وارادته كلما وصل إلى النتيجة[1] ثم الرضا الكامل بها مهما كانت حتى لو خرجت على غير ما نتمنى ، إيماناً منا بأن ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ، وتصديقاً لقول الرسول(ﷺ) "المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان"[2]

المطلب الثالث : أفعال العباد ومشكلة التخيير والتسيير

لقد كان منهج الصحابة منذ اللحظة الأولى الالتزام بالمنهج النبوى الكريم في فهم حقائق القرآن والسنة ونصوصها، كما كان اعتقادهم الراسخ أن القرآن الكريم هو المائدة التي يجب على كل فرد أو مجتمع أن يقبل عليها إقبالاً مباشراً دون وسائط بشرية ممثلة في فكر أفراد ، أو مفهومات فكرية مستخلصة منه بواسطة آخرين ، فكانوا خير دفاعاً ضد كل دعوة فكرية منحرفة ضد الإسلام[3]

---

١) إذ أنه قد ينعقد السبب التام ولايقع مسببه إذاشاء الله عدم وقوعه، وذلك كمافعل في عدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم – عليه السلام – حيث وجدت النارالمحرقة ولكن أنعدمت المشيئة الإلهية وسلب سببيتها فانعدمت فاعليته وهذا الأمر يبطل مايلزم به الأشاعرة أهل السنة من أن أثبات التلازم بين الأسباب والمسببات يفضى إلى إنكار النبوات الثابتة بمعجزات الرسل (انظر: إعلام الموقعين لابن القيم جـ١ص ٥١٩-٥٢٠)

٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب القدرباب الأمربالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقاديرلله ٤/٢٥٢

٣)القضاء والقدرفي الإسلام د/فاروق أحمد الدسوقى جـ٢ص٢٩بتصرف

أولاً: أقرب من انتهجوا منهجهم أهل الحديث: - وعلى رأس أهل الحديث الإمام البخارى[١] حيث نجد موقفه لا يحيد عن القرآن الكريم وحقائقه المحكمة وسنة الرسول (ﷺ) قيد أنمله ، حيث رأى أن أثارة هذا السؤال إذا كان الله خالقاً لأفعالنا ، وكل أفعالنا بقضائه وقدره فكيف يحاسبنا عليها؟ ومحاولة الرد عليه يعنى الخوض في القدر وهذا ماهى عنه الرسول(ﷺ) لذا نجده يقول: "فثبت موقف الصحابة والتابعين من هذه المشكلة بخاصة والمشاكل الكلامية بعامة بقوله:(وأهم كرهوا البحث والتنقيب عن الأشياء الناقصة وتجنبوا أهل الكلام والخوض والتنازع فيما جاء فيه العلم وبينه رسول الله (ﷺ)"[٢] فنجد الإمام البخارى – هنا – يفوض العلم فيه إلى الله مثبتاً إيمانه بكل ما جاء في الكتاب والسنة بهذا الخصوص وهو أفضل من مثل فئه المفوضين.

ثانياً: موقف أبو حنيفة[٣] من القدر والحرية الإنسانية:- ومذهبه يتفق مع عقيدة الصحابة والتابعين ، حيث نجده وضع تفسيراً عاماً وشاملاً لموقف الإنسان الوجودى مستخلصاً من الكتاب والسنة ، حيث استعمل حقيقة إنسانية قرآنية ليحدد بها مفهوم الحرية الإنسانية ، وهي حقيقة الوجود السابق للبشر أفراداً في عالم الذر" أخرج ذرية آدم من صلبه على صور الذر، فجعلهم عقلاء فخاطبهم وأمرهم بالإيمان ونهاهم عن الكفر فأقروا له بالربوبية فكان ذلك منهم إيماناً منهم يولدون على القطرة"[٤] ومن ثم يجعل للاختيار البشرى أساساً غيبياً ،

---

١) هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري ولد في يوم الجمعة الرابع من شوال سنة أربع وتسعين وكانت وفاته ليلة عيد الفطر السبت ١ شوال ٢٥٦هـ عند صلاة العشاء (سير أعلام النبلاء « الطبقة الرابعة عشر جـ١٢ ص٣٩٢)

٢) خلق أفعال العبادص ٩

٣) هوأبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى التيمي، الكوفي، مولى بني تيم بن ثعلبة يقال : إنه من أبناء الفرس ولد سنة ثمانين وتوفي في سنة خمسين ومائة وله سبعون سنة (سير ة أعلام النبلاء « الطبقة الخامسة« الجزء السادس ص٣٩١)

٤) شرح الفقه الأكبر للإمام أبوحنيفة الملا على القارى ص٨٣ــ٨٤

ويحدد مفهوم هذا الاختيار بأنه إقدام الإنسان بإرادته على تغيير ما فطره الله عليه من الإيمان. أو السير على ما فطره عليه وتثبيته [١].

وكما رفض أبو حنيفة مذهب الجبرية[٢] فإنه يرفض فكر منكرى القدر[٣] بإيمانه بأن كل شيء بقضاء الله وقدره حتى المعاصى وأفعالهم الاختيارية. فاتجاهه يتحدد بوضوح بقوله: "وإنى أقول قولاً متوسطاً لا جبر ولا تفويض ولا تسليط ، والله – تعالى – لا يكلف العباد بما لا يطيقون ، ولا أراد منهم مالا يعلمون ، ولا عاتبهم بما لم يعملوا ولا سألهم عما لم يعلموا ولا رضى لهم بالخوض فيما ليس به علم والله يعلم بما نحن فيه"[٤]

ثالثاً : رأى بعض الفرق الكلامية المخالفين لما سبق : -

أ/ الجبرية[٥] :- يسجل لنا تاريخ الفكر البشرى في الإسلام ونشأته ظهور الجبرية كمذهب يفسر العلاقة بين الله والإنسان في أحضان التأويل العقلى لنصوص الوحيين – القرآن والسنة – الذى بدأ على يد الجعد بن درهم [٦] ثم أخذ عنه الجهم بن صفوان[٧] الذى نجد

---

١) المرجع السابق ص٨٤ـــ٨٥
٢) سيأتى توضيحه
٣) سيأتى توضيحه فيما هو آت
٤) أبوحنيفة للشيخ محمد أبوزهرة ص١٧٩، وانظرأيضاًشرح الفقه الأكبرص٩٤
٥) والجبرهونفي الفعل حقيقة عن العبد واضافته إلى الرب تعالى فطابعها ميتافيزيقى أو لاهوتى، والجبرية أصناف، فالجبرية الخالصة هى التي لا تثبت للعبد فعلاً، كما تنفي عنه القدرة على الفعل أصلاً، والجبرية المتوسطة هى التي تثبت للعبدقدرة غيرمؤثرة أصلا(شفاء العليل ص ٢٧٤، والقضاء والقدرفي الإسلام د/فاروق الدسوقى ص٨٠) في حين أن الحتمية تقررمبدأ القانون العلمى وارتباط العله بمعلولها (كتاب ديانات ومذاهب أهل العالم د/عصام الدين محمد على ص٢٦١)
٦) هومؤدب مروان الحمار هو أول من ابتدع بأن الله ما اتخذ إبراهيم خليلا، ولا كلم موسى، وأن ذلك لا يجوز على الله قال المدائني : كان زنديقا . وقد قال له وهب : إني لأظنك من الهالكين، لو لم يخبرنا الله أن له يدا، وأن له عينا ما قلنا ذلك، ثم لم يلبث الجعد أن صلب (انظر: سير أعلام النبلاء الطبقة الرابعة الجزء الخامس ص(٤٣٣)
٧) جهم بن صفوان الراسبى :كاتب الحارث بن سريج، تتلمذ للجعد بن درهم وقال عنه الذهبي:الضال المبتدع رأس الجهمية، أول من قال بالإجبارفي الأعمال توفي (١٢٨هــ)(الفرق بين الفرق للبغدادى ٢١١)

عنده أصلاً وبدء الطائفة المجبرة[١]. فالقول بالجبر لم ينشأ من خالص النظر في القرآن والسنة بالمنهج الصحابي وإنما نشأ نتيجة انتهاج الجهم ما ابتدعه من التأويل للآيات المتشابهة في القرآن [٢]

ومعتقد الجهمية في أفعال العباد أن الإنسان بلا قدرة أو استطاعة ولا إرادة ، وإنما يخلق الله – تعالى – الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات ، وتنسب الأفعال إلى المخلوقين على المجاز كما يقال: زالت الشمس ودارت الرحى وأثمرت الشجرة وغير ذلك. فالإنسان مجبر على أفعاله ، وليس له استطاعة أصلاً[٣] .

---

١) انظر:نشأة الفكر الفلسفي سامى النشارط ص٣٢٩

٢) انظر:إعلام الموقعين عن رب العالمين جـ١ص٥١٦ـــ ٥١٧(وفي الحقيقة لقد اتخذت دولة معاوية وملوك بنى مروان القول بالجبر منطلقاً عقيدياً يبررون به أعمالهم السياسية، وركيزة لسلطاتهم الزمنية بين الناس (انظر:المنية والأمل لابن المرتضى ص٣ تصحيح توماأرنولد طبعة حيدرأباد ١٩٠٢م)كماأن أعداء الإسلام لم يجدوا مجالاً خصباً من مجالات الإيمان وموضوعاته وحقائقه للتلبيس على الناس فيه مثل ماوجدوا في مفهوم القضاء والقدروالمشيئةالإلهية ، حيث انطلقوا في هذه القضية إلى نتائج خاطئة متنافية مع حقائق القرآن والسنة التي بهما وضع الله ــــ تعالى ــــ عن الناس اصرهم والأغلال التي كانت عليهم .فاذا بهم يصلون إلى نتائج مضللة مقيدة لإرادتهم، مانعة لهم من الأخذ بالأسباب، واطلاق إرادتهم للعمل في الأرض في جميع المجالات الطبيعية والإنسانية التي رسمها وحدها لهم الإسلام .وقد استخدم هذا المعتقد الجبرى من قبل البعض لأغراض وأهداف دنيوية وخبيثة، فهي كلمة حق أرادوابها باطلاً(انظر:مروج الذهب للمسعودى جـ٢ص٢٦)والاحتمال الغالب أن يكون ذلك بفعل اليهود، حيث أنهم أهل كتاب ويعرفون جذور مشكلة القدرلوجود الفرق الفكرية بسبب هذه المشكلة في تاريخهم)

٣) راجع في ذلك مقالات الاسلامين للأشعرى جـ١ص٣١٢، الملل والنحل للشهرستاني جـ ١ ص٨٧ والفرق بين الفرق للبغدادى ص٢١١، والفصل في الملل والنحل جـ٣ ص٢٢ لابن حزم الظاهرى)

وكان قول الجهم: "لا يجوز أن يوصف البارى تعالى بصفة يوصف بها خلقه ، لأن ذلك يقتضى تشبيها ، فنفي كونه حياً عالماً واثبت كونه قادرا فاعلاً ، خالقاً لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة والفعل والخلق"[١]

وقد استدلوا بالآيات العامة التي تدل على أن الله – تعالى – هو خالق كل شيء لقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾ [٢] كما استدلوا – أيضاً – بآيات المشيئة العامة كقولة تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٣] وقوله تعالى:﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٤] والحق أن الألفاظ التي استعملها الجبرية – من أتباع جهم بن صفوان وغيره لا أصل لها في القرآن والسنة، فلفظة: الجبر لا أصل لها في كلام الله ولا في كلام النبى(ﷺ) ولفظة: الإنسان مسير – أيضا – لا أصل لها في القرآن ، ولا في السنة وفي هذا خلل كبيرو جسيم[٥]

---

١) الفصل جـ٣ص٢٢ـ٢٣(ومن الملاحظ أن جهم هذا كان يحمل السلاح ويقاتل السلطان وخرج مع الحارث بن سريج وكان كاتبا له في خرسان في آخر دولة بنى أمية(تاريخ الطبرى أحداث عام ١٢٨ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الجزء السادس مطبعة دارالمعارف القاهرة ١٩٦٤م) ومن الواضح التعارض بين عقيدته وسلوكه، أوبين النظرعنده والتطبيق .فمن قال بالجبر الخالص كان أحرى به أن يكون مثالاً للرضى والطاعة لأولى الأمر، ولكل مايحدث من أحداث أما وقدكان من الخارجين على السلطان بالسلاح والقائلين بالجبرفي آن واحد فهو أساس التعارض.

٢) الأنعام:١٠٢

٣) القصص:٦٨

٤) الإنسان :٣٠

٥) انظر:القضاءوالقدرفي ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه للدكتور/عبدالرحمن بن صالح المحمود ص٢٠٠، انظرأيضاً:شفاء العليل لابن القيم ص ٢٧٤

وقد روى الخلال بإسناده عن بقى بن مخلد قال: سألت الأوزاعى والزبيدى عن الجبر، فقال الزبيدى: أمرالله أعظم وقدرته أعظم من أن يجبر ويقهر ، ولكن يقضى ويقدر ويخلق ويجبل عبده على ما أحبه[1]، كما أن استدلال الجبرية بآيات القرآن الكريم وأحاديث النبى(ﷺ) يؤكد لنا تأكيداً جازماً أن سوء الفهم عن الله ورسوله(ﷺ) أصل كل بدعة وفتنة وضلال[2] فليس هناك علاقة بين آيات الخلق والمشيئة والإرادة التي استدلوا بها في حق الله تعالى وبين مذهبهم الفاسد الباطل، ويكفي في الرد عليهم عرض الأدلة القرآنية والسنية التي استند عليها المعتزلة في إثبات مذهبهم؛ لأنها مثبتة للفعل والمشيئة والإرادة في حق العبد[3]

كما أن قولهم هذا يؤدى حتما إلى اسقاط مغزى التكليف، وبالتالى انزال الرسل والكتب ، وسقوط قاعدة الثواب والعقاب، وكثير من الحقائق الإيمانية التي تعد من قبيل المعلوم من الدين بالضرورة لتوافر وتواتر أدلتها النصية والسنية، حيث تعد من ثوابت الدين وأركانه.

ب/ رأى المعتزلة القدرية[4] :- حيث غالت في الإيمان بالتكليف، حتى طعنت في القدر، وأنه تعالى خالق لكل شيء، ومن ذلك أفعال العباد وقدمت لهذه النتيجة مقدمات متعددة من

---

١) السنه للخلال ٣/٥٥٥ ط الراية

٢) انظر:الروح لابن القيم ص ٦٣

٣) راجع في ذلك الكهف:٢٩، الفرقان:٥٧، المدثر:٣٦ــــ٣٧

٤) والمقصودبالكلام في القدرفي بداية الأمرإنما هونفي القدر، هذا هو المشهورمن الأقوال في بداية القول بالقدر(راجع مسلم ٨)وهناك قولان آخران أحدهما:أن أول ماحدث القول بالقدر بالحجازقبل معبد الجهمي، وأن ذلك وقع لما احترقت الكعبة لما كان عبدالله بن الزبيرمحصوراًبمكة، فقال أناس:احترقت بقدرالله، وقال أناس لم تحترق بقدرالله (انظر:الفرق بين الفرق للبغدادى ص١١٧).والقول الآخر:أن أول من نادى بالقدر في الشام عمروالقصاص وكان معلماً لمعاوية الثانى، فأثرفيه كثيراً، فأعتنق أقواله في القدر وهذا القول ضعيف لأن معاوية بن يزيد كان رجلاً صالحاً وعمرو القصاص هذالم يذكر قصته من المؤرخين غيرابن العبرى(انظر:القضاء والقدرلعبدالرحمن المحمود١٦٦) وهذا المسمى-القدرية مجوس الأمه- قد رمت به المعتزلة فرقة الجبرية وأخذوا في سياق الأدلة على ذلك(شرح الأصول الخمسة ص٧٧٣).

تعليل أفعال الله – تعالى – بالحكمة ، واستحالة الظلم عليه ، وتحسين الأشـياء وتقبيحها بالعقل ، كل ذلك كان بمثابة الأدلة التي أرادت بها أن تدعم موقفها من نفي هذه المرتبة من مراتب القدر المتعلقة بأفعال العباد[١] .

وقد اعتمدت فيما ذهبت إليه على عدم إمكان وجود فعل بقـدرتين[٢] ، وارجعت الفعل إلى قدرة العبد على جهة الاستقلال ، استناداً إلى الضرورة العقلية التي تشـهد بأن الفعل صادر عن إرادة الإنسان.

يقول في ذلك القاضى عبد الجبار[٣] إن هذه التصرفات يجب وقوعها بحسب مقصودنا ودواعينا ، ويجب انتفاؤها بحسب كراهتنا وصوارفنا مع سلامة الأحوال إما محققاً وإما مقدراً ، فلولا أنها محتاجه إلينا ومتعلقة بنا وإلا لما وجب ذلك فيها ، لأن هذه الطريقة تثبت احتياج الشيء إلى غيره ، كما يعلم احتياج المتحرك إلى الحركة والساكن إلى السكون ، وهذه هى الأدلة المعتمدة"[٤]

كما نجده يقول–أيضاً– في موضع آخر مؤكد الحكمة لله–تعالى–واستحالة الظلم عليه "ما يدل على أنه لا يجوز أن يكون خالقاً لأفعال العباد، هو أن في أفعال العباد ماهو ظلم وجور، فلوكان الله كذلك–تعالى عن ذلك علواً كبيراً– لصح اتصافه بالظلم"[٥]

---

١) راجع في ذلك :شرح الأصول الخمسة للقاضى عبدالجبار ص٣٣٧ ومابعدها
٢) راجع في ذلك :المغنى في أبواب التوحيدوالعدل جـ٤ص٢٥٤ ومابعدها
٣) عبدالجبار بن أحمد القاضى الهمذاني، ولد حوالى ٣٢٠هـ برع في الفقه والحديث وانتحل مذهب الأشاعرة فترة، ثم انتقل إلى الاعتزال، ومن مؤلفاته تفسير القرآن، ودلائل النبوة، وشرح الأصول الخمسة وغيرها توفي بالرى عام ٤١٥هـ (الاعلام جـ٣/٢٧٣)
٤) شرح الأصول الخمسة ص٣٣٧
٥) المرجع السابق٣٣٦

كما يقول: "فلو كان الجور وما شاكلته من خلقه، لوجب الرضى به والإجماع يبطل ذلك"[١] ولهذا نسب المعتزلة خلق الجور للإنسان كما كان قولهم: "أن في القول بخلق الأفعال طعنا في جانب التكليف ، المتمثل بإرسال الرسل ، وإنزال الكتب بمافيها من أوامر ونواه ، حتى يؤدى ذلك إلى نسبة العبث المنافي لتمام الحكمة والعدل للرب تعالى[٢]

وفي الواقع أن كل إنسان يعلم أن له مشيئة، وقدرة يفعل بهما ويترك، ويفرق بين ما يقع بإرادته كالمشي، وما يقع بغير إرادته كالارتعاش[٣]،لكن مشيئته وقدرته واقعتان بمشيئة الله وقدرته، لقوله تعالى{لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ } [٤]

وتوضيح ذلك كما يقول ابن السعدي[٥] : "أن العبد إذا صلى وصام وعمل الخير أو عمل شيئاً من المعاصي كان هو الفاعل لذلك العمل الصالح أو السيء. وفعله المذكور- بلا ريب-واقع باختياره، وهو يحس ضرورة أنه غير مجبور وأنه لو شاء لم يفعل. وكما أن هذا هو الواقع ، فهو الذي نص الله عليه في كتابه...ومع ذلك يقال إذا كانت واقعة منهم ، كيف تكون داخلة في القدر؟ وكيف تشملها المشيئة ؟ فيقال: الذي خلق ما تقوم به الأفعال هو الذى خلق الأفعال فهذا الذى يحل الإشكال ، ويتمكن العبد أن يعقل بقلبه اجتماع القدر والقضاء والاختيار ومع ذلك فهو- تعالى - أمد المؤمنين بأسباب ، وألطاف وإعانات

---

١) المحيط بالتكليف للقاضى عبدالجبار المجلد الأول ص٤٢٠

٢) انظر:المغنى في أبواب التوحيد والعدل لعبدالجبار جـ٢ص٣٤٠

٣)انظر:منهاج السنة لابن تيمية جـ٣ص١٠٩ـــ١١٢

٤) التكوير:٢٨ـــ٢٩

٥) هوالعلامة المحقق أبوعبدالله عبدالرحمن بن ناصربن عبدالله بن ناصرآل سعدى التميمى، ولدفي عنيزه في القصيم ١٣٠٧هـ وتوفي١٣٧٦هـ ترك مصنفات منها:تفسيره، والقواعد الحسان والفتاوى وغيرها(انظر:الشيخ عبدالرحمن السعدى مفسر للشيخ عبدالله بن سابح الطيار)

متنوعة وصرف عنهم الموانع ، كما قال: "وأما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة[١] وكذلك خذل الفاسقين ، ووكلهم إلى أنفسهم ، لأنهم لم يؤمنوا به ، ولم يتوكلوا عليه[٢]

- كما أن ما ذهبت إليه المعتزلة بعدم خلق الله لأفعال الجور والمعاصي ونسبتها إلى العباد ، هى مغالطة كبيرة وموطن مذلة قدم لكثيرين[٣] ولا مخرج منه إلا بالتفريق بين قدر الله الذي هو فعله وبين مقدوره الذي هو مفعوله ، ومفعوله له تعلقات بأفعال البشر من ناحية الاختيار وغيره ، وفي مفعولاته و مقدوراته تدخل الشرور والنواقص وغيرها. وهى من جهة الله كلها خير وحكمة. وينظر إليها من جهة البشر على أنها نقص[٤]

أما الذين قالوا بالتفريق بين الفعل والمفعول قد انجلت المشكلة لديهم ويترتب على هذا التفريق كما قال ابن تيمية: "فإنه يقال الكذب ، والظلم ونحو ذلك من القبائح يتصف بها من كانت فعلاً له ، كما يفعلها العبد وتقوم به ، ولا يتصف بها من كانت مخلوقة له إذا كان قد جعلها صفة لغيره ، كما أنه -سبحانه- لا يتصف بما خلقه في غيره من الطعوم والألوان.....وهذا أمر يعود على الفاعل الذى قامت به ، لا على الخالق الذى خلقها فعلاً لغيره"[٥]

ومن هنا نعلم الخطأ الواضح الذى وقعت بسببه المعتزلة في نسبة بعض الخلق لغير الله - تعالى- فراراً أن يكون صفة لله وفعلاً له ، ولو أنهم ارتضوا التفريق بين الفعل والمفعول ،

---

١) سبق تخريجه

٢) التنبيهات اللطيفة٨٢ـــ٨٣، وانظر أيضاً - لمعة الاعتقاد لابن قدامه ص٢٢

٣) وفي الحقيقة ماكان هذا إلا من جراء قياسهم الغائب على الشاهد حيث ذهبوا إلى أنه مائبت في الشاهد وجب ثبوته في الغائب (انظر:المطالب العالية جـ٣ص٣٤١ ومابعدها)

٤) انظر:مدارج السالكين لابن القيم جـ ٢ص٣٧٢ـــ ٣٧٣

٥) مجموع الفتاوى١٢٣/٨، وانظرأيضاً:شرح العقيدة السفارينية ص٣٦٧

وجعلوا المكروهات من مفعولاته ، وهى منفصله عنه وما كان من مفعولاته فإنه ليس وصفاً له ولا يقوم به لكان الأمر يسيراً ، ولكنهم عطلوا فاعليته وجعلوا الخلق قادرين على أن يخلقوا ما لا يستطيعه إلا الله سبحانه[١]

– كما أن علماء السنة قد فرقوا بين معنى القضاء والمقضي من باب رد ما وقع فيه المعتزلة من تخبط فقالوا: "هنا أمران قضاء الله ، وهو فعل قائم بذات الله تعالى ، ومقضي وهو المفعول المنفصل عنه ، فالقضاء كله خير وعدل وحكمة ، ونرضى به كله والمقضي قسمان: منه ما يرضى به، ومنه لا يرضى به[٢]

جـ/ رأى الأشاعرة: -

لقد ذهب الأشاعرة إلى القول "بالنظرية الكسبية" محاولةً للجمع بين الاتجاهين السابقين والبحث عن الوسطية في الأمر. ولو أخذنا في استعراض آراء الأشاعرة في الكسب[٣] سيتصدر الأمر ما ذهب إليه الأشعرى من التفرقة بين أفعال العبد الاضطرارية والاختيارية

---

١) وقد زعم بعض المستشرقين والباحثين أن ثمة علاقة بين رأى المعتزلة في هذه المسألة والتفكير الديني المسيحى والفلسفة اليونانية من هؤلاء دى بور(تاريخ الفلسفة في الإسلام ص٤٩ترجمة د/محمدعبدالهادى أبوريده لجنه التأليف والترجمة ط الرابعة١٩٥٧م، وضحى الإسلام لأحمد أمين جـ١ص٣٦٤) وإن كنت اميل إلى ما رجحه أ.د/حامد الخولى أن المعتزلة قد استمدوا وجهة نظرهم من القرآن الكريم الذى يحتوى على كثيرمن الآيات التي يقرر ظاهرها حرية الإنسان .وأكدوا في ضوئها الآيات التي يوحى ظاهرها بالقول بالجبر، و لم يتأثروا في ذلك بأى مصدرخارجى عن الإسلام اللهم إلا أن تكون تلك المصادر الخارجة عن الإسلام ساهمت في مجرد الالتفات إلى هذه المسألة لاتخاذ موقف معين منها هونفي القدروالاعتداد بحرية الارادة الإنسانية (قضية الألوهية عند المتكلمين).

٢) شرح العقيدة الطحاوية ص٢٥٨، وانظرأيضاً:، وشرح المقاصد للتفتازانى جـ٤ص٢٧٨

٣) والكسب هو الفعل المفضى إلى اجتلاب نفع أو دفع ضرر ولايوصف فعل الله تعالى بأنه كسب (التعريفات للجرجانى حرف الكاف ص١٨٤)

، وبناء عليه فقد عرف (المكتسب) أى الفعل بأنه هو (المقدور بالقدرة الحادثة) أى: الفعل هو ما يفعله المرء بقدرته المخلوقة له[١]

ثم عاد وقرر: إنه لا تأثير للقدرة الحادثة في إحداث الفعل ، والله – سبحانه – أجرى سنته بأن يخلق عقيب القدرة الحادثة – أى المخلوقة للعبد – أو تحتها أو معها. الفعل الحاصل إذا أراده العبد وتجرد له ، وسمى هذا الفعل كسباً[٢] . فالمراد بكسبه إذن: مقارنته لقدرته وإرادته من غير أن يكون هناك من تأثير أو مدخل في وجوده سوى كونه محلاً له. فالفعل في نظرية الكسب فعل الله تعالى، وقدرة العبد ما هى إلا سبب اقترانى يوجد الفعل عنده لا به[٣]

وقد نقل عن القاضى أبي بكر الباقلانى[٤] أنه مع تقريره أن القدرة التي يخلقها الله للعبد لا دخل لها في إيجاد الفعل ، إلا أن كون الفعل حاصلاً بالقدرة الحادثة أو تحتها نسبة خاصة تسمى ذلك كسباً[٥]

ونقل عن أبي اسحاق الاسفرايينى[٦] أنه ذهب إلى أن المؤثرفي الفعل هو مجموع قدرتى الله والإنسان[٧]

---

١) انظر:اللمع في الردعلى أهل الزيغ والبدع للأشعرى ص٦٩ ومابعدها

٢) انظرالإبانة عن أصول الديانة للأشعرى ص٢٤ــ ٢٥ومابعدها تحقيق د/فوقية حسين

٣) انظر:شفاء العليل ص ٢٦٠(وهذا يتناسب مع معتقدهم في نظرية السببية)

٤) محمدبن الطيب أبوبكرالقاضى المعروف بالباقلانى، من كبارمتكلمى الأشاعرة، كان يثبت كثير من الصفات التي نفاها متأخرواالأشاعرة، ولدفي البصرة عام ٣٣٨هـ وتوفي٤٠٣هـ، من مؤلفاته الإنصاف والتمهيد، وإعجازالقرآن، والدلائل (انظر:سيرأعلام النبلاء ١٩٠/١٧، والأعلام ١٧٦)

٥) انظر:الإنصاف فيمايجب اعتقاده ولايجوزالجهل به للباقلانى ص٧٠ــ٧١

٦) هوالأستاذأبواسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإسفرايينى الملقب بركن الدين توفي يوم عاشوراء عام ٤١٨هـ، وهوالفقيه الشافعى المتكلم الأصولى (انظر:وفيات الأعيان لابن حلكان جـ١ص٥)

٧) انظر:المواقف للإيجى ص٣١٢



وأخذ بهذا القول – أيضاً – الإمام الغزالى إذ يقول: "المذهب الحق هو أن المؤثر مجموع القدرتين، قدرة الله وقدرة العباد، فالأفعال الصادرة عن العباد كلها بقضاء الله وقدره ولكن للعباد اختيار فالتقدير من الله والكسب من العباد[١]

وقد آثر عن أمام الحرمين[٢] في هذه المسألة قولان: الأول يوافق فيه أبا الحسن الأشعرى في أن قدرة الإنسان لا تأثير لها في الفعل[٣] بينما نراه في موضع آخر يقرر أن الفعل يقع بتأثير قدرة الإنسان وبمعرفة الدواعى والأسباب الخارجية التي يهيأها الله – تعالى – لإتمام هذا الفعل ، ومع هذا لا يخرج الفعل عن تقدير الله ، لأن الله هو خالق قدرة الإنسان ومهيأ أسباب إنجازه للفعل [٤] إلى أن ينتهى إلى أن الكسب أسم محض ولقب مجرد من غير تحصيل معنى ، كما لم يرتض مذهب الاسفراييني لأنه يؤول إلى الشرك [٥]

من خلال عرض أقوال طائفة من كبار منظرى المذهب الأشعرى تبين بوضوح أن نظرية الكسب كانت محل اختلاف عند أصحاب المذهب ، يؤكد ذلك صاحب كتاب مذاهب الإسلاميين إذ يقول: "يظهر أن موقف أبى الحسن الأشعرى لا يمكن قبوله ولابد من تعديله ، فعدله الباقلانى ، بأن أثبت للقدرة الإنسانية تأثيراً ، هوحال به يتصف صاحب القدرة بكسبه لهذا الفعل ، وجعل هذا الحال هى التي ينالها العقاب والثواب، لكن الجوينى رأى أن هذا غير معقول ، ويساوى نفي التأثير الذى قال به الأشعرى ، ولهذا خطا خطوة

---

١) انظر:الأربعين ص١٣

٢) هوأبوالمعالى عبدالملك ابن الشيخ أبي محمدبن عبدالله بن أبي يعقوب يوسف بن عبدالله بن يوسف فقيه شافعى وملقب بضياء الدين ومعروف بأمام الحرمين ولدعام٤١٩هـ وتوفي ٤٧٨هـ (سيرأعلام النبلاء للذهبى الجزء٨ص٦٨)

٣) انظر:الإرشاد ص١٩٨

٤) انظر:العقيدة النظامية ص٤٨ومابعدها

٥) انظر:المرجع السابق ص٤٥

أبعد فأقر قيام نسبة حقيقية بين فعل العبد وبين قدرته ، لكن في غير أمور الإحداث والخلق ، وهذه النسبة تطرد من فعل إلى سببه باستمرار حتى نصل إلى مسبب الأسباب ، أى الله تعالى"[1]

فخلاصة قول الأشاعرة في أفعال العباد ، كونه سبحانه خالقاً لها على جهه الفاعلية والتأثير من حيث كونه قديماً متقدماً عليها في الوجود

الجبر لدى غلاة الفكر الصوفي : - يستخدم غلاة الصوفية عبارات فيها اطلاق مسمى الحقيقة على القدر الحاصل بما فيه من خير وشر، ويقعون في التجاوزات نتيجة لذلك ، فعندهم: "أنه ليس في مشهدهم لله محبوب مرضى مراد إلا ما يقع ، فما وقع فالله يحبه ويرضاه ، ومالم يقع فالله لا يحبه ويرضاه ، والواقع يتبع القدر لمشيئه الله وقدرته ، فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن. [2] وعلى هذا فإبليس وجميع الكفار والملاحدة والعصاه مطيعون لله ، لموافقتهم للقدر، وكل ما قضاه وقدره فهو محبوب له ، مرضى عنه ، فإذا كان قد خالف أمر الشرع فقد أطاع إرادة الله ونفذ مشيئته ، فمن أطاع الله وقضاءه وقدره كمن أطاعه في أمره ونهيه كلاهما قد قام بحق العبودية لله[3] .

يقول صاحب الفتوحات المكية في الشقى الذى صدرت عنه مخالفات في الحياة الدنيا أنها عند انكشاف الحقائق في الآخرة يظهر حسنها منه وحسن جميع الأعمال كلها ، حيث

---

١) عبدالرحمن بدوى ص٥٦٠-٥٦١

٢) انظر:الرسالة القشيرية ص١٩٤- ١٩٦، ومدارج السالكين جـ٢ص١٤١ ومابعدها، ورسالة الاحتجاج بالقدر٨٠-٨١ (فالاستسلام الذى تدعوا إليه غلاة الصوفية ليس هو الاستسلام المطلوب منا، فالمطلوب هو الاستسلام لتدبير الله لنا، وهذا في غير ماآمر ونهى بل فيما يفعله بنا لافيما أمرنا بفعله)

٣) انظر:شفاء العليل لابن القيم ص٦-٧،ونظرات في معتقد ابن عربى د/كمال عيسى ص٤٢-٤٤،وهذه هى الصوفية لعبدالرحمن الوكيل ص٤٣

ينكشف له في ذلكم اليوم أن العامل لها هو الله تعالى ، لا غيره ، فهي أعماله تعالى ، وأعماله كلها كاملة الحسن لانقص فيها ولا قبح ، فكل أمر من حركة وسكون ، وسكنة وفعل وكلام في هذا الوجود هو من الله تعالى ، إذ هو عين ذوات العالم التي قامت بها هذه الحركات والسكنات والأفعال والأقوال تبعاً لمعتقدهم الرامى إلى القول بوحده الوجود([1])

الرد عليهم: حقيقة ما تكلم فيه هؤلاء الغلاة المتصوفة من عذر الخلق بفعل الرب هو الاحتجاج بالقدر على معصيته تعالى ، وقد علق عليهم ابن تيمية قائلاً فقال: "وهؤلاء الذين يشهدون الحقيقة الكونية وهى ربوبيتة تعالى لكل شيء ، ويجعلون ذلك مانعاً من اتباع أمره الدينى الشرعى على مراتب في الضلال. فغلاهم يجعلون ذلك مطلقاً عامـاً ، فيحتجون بالقدر في كل ما يخالفون فيه الشريعة ، وقول هؤلاء شرمن قول اليهود والنصارى ، وهومن جنس قول المشركين الذين قالوا: ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [2] وهؤلاء من أعظم أهل الأرض تناقضاً... حيث يقال له إن كان القدر حجة، فدع كل أحد يفعل ما يشاء بك وبغيرك ، وإن لم يكن حجة بطل أصل قولك حجة. ومنهم صنف يدعون التحقيق والمعرفة، فيزعمون أن الأمر والنهى لازم لمن شهد لنفسه فعلاً وأثبت له صنعاً ، أما من شهد أن أفعاله مخلوقة ، أو أنه مجبور، وأن الله متصرف فيه.... فإنه يرتفع عنه الأمر والنهى والوعد والوعيد.... وهذه المقالات هى محاده لله ورسوله ومعاداه له ، وصد عن سبيله ، وتكذيب لرسله، ومضادة له في حكمه"[3]

---

١) انظر:الفتوحات المكية جـ٣ص٤٠٣

٢) الأنعام:١٤٨

٣) الاستقامة لابن تيمية جـ٣ ص ٢٤- ٢٥وانظر:تفسير الآيه في جامع البيان المجلد الخامس ص٤٣٢

الشيعة وأفعال العباد:-خلاصة أقوالهم أن متقدميهم منهم من يوافق أهل السنة، ومنهم من يوافق المعتزلة، أما متأخروهم فأغلبهم معتزلة سواء كانوا رافضة(١) أوزيدية(٢).

يؤكد ذلك الشيخ المفيد (٣) إذ يقول: " إن الخلق يفعلون ، ويحدثون ، ويخترعون ويصنعون ، ويكتسبون ، ولا اطلق عليهم القول بأنهم يخلقون ، ولا لها خالقون وعلى هذا القول إجماع الإمامية والزيدية ، والبغداديين من المعتزلة والمرجئه وأصحاب الحديث (٤)

ويقول صاحب العقائد الإمامية: "واعتقادنا في ذلك تبع لما جاء عن أئمتنا الأطهار ، وأن الأمر بين الأمرين والطريق الوسط بين القولين ، الذى يعجز عن فهمه أمثال أولئك

---

١) هى إحدى الفرق التي تدعى التشيع لآل البيت، مع البراءة من أبي بكروعمررضى الله عنهما، وسائرأصحاب النبى إلا القليل منهم ويرى جمهورالمحققين أن سبب اطلاق هذه التسمية عليهم:هورفضهم زيد بن على وتفرقهم عنه بعد أن كانوا في جيشه، حين خروجه على هشام بن عبدالملك، في سنة إحدى وعشرون ومائة وفي ذلك قال بن تيمية:"وإنما سموارافضة وصاروا رافضة بعد أن أظهروا البراءة من الشيخين وتكفيرهم لهم وسبهم إياهم وقدخرج زيدبن على بن الحسين بالكوفة في خلافة هشام فسألته الشيعة عن أبي بكروعمرفترحم عليهم فرفضة قوم فقال :رفضتمونى رفضتمونى، فسموا رافضة (منهاج السنة النبوية ١/٣٤ـــ٣٥، وانظرأيضاًحركات الشيعة المتطرفين وأثرهم في الحياة الإجتماعية والأدبية لمدن العراق إبان العصرالعباسى الأول د/محمدجابرعبدالعال الحينى ص٦٤ومابعدها، والدين الخالص لمحمد صديق حسن جـ٣ص٣٨٣)

٢) هم اتباع زيد بن على بن الحسين - رضى الله عنهم - وهم القائلين بجواز أمامه أبي بكر وعمر على أساس قاعدتهم التي تقرر جوازأمامة المفضول في وجود الأفضل (انظر: موسوعة الفرق الإسلامية يحيى هاشم فرغل ص٧٢، والملل والنحل للشهرستانى ص١٣٨)

٣) هومحمدبن محمدبن النعمان بن عبدالسلام العكبرى البغدادى، يعرف بابن المعلم ويلقب بالمفيد محقق إمامى، انتهت إليه رئاسة الإمامية في عهده ولدسنه ٣٣٦هـــ وتوفي ٤١٣هـــ (انظر:الأعلام ٧/٢٤٥)

٤) أوائل المقالات في المذاهب المختارات ص٦٤ـــ ٦٥

المجادلين من أهل الكلام ففرط منهم أقوام ، وأفرط آخرون... فقد قال إمامنا الصادق لبيان الطريق الوسط لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين.... فأفعالنا حقيقة ونحن أسبابها الطبيعية وهى تحت قدرتنا واختيارنا ، ومن جهه أخرى هى مقدورة لله وداخلة في سلطانه"[١] "أما الزيدية" فهم – في الغالب – معتزلة حيث يقول أحد أئمتهم فإن قيل: هل ربك خلق أفعال العباد ؛ فقل: لا يقول ذلك إلا أهل الضلال والعناد[٢] .

فالشيعة – عموماً – فيهم من يقول بقول أهل السنة وإن كانوا في الغالب على مذهب المعتزلة ، وهذا يكثر في الرافضة والزيدية خاصة المتأخرين منهم[٣]

وفي نهاية المطاف: – اتضح أن أساس الضلال الحاصل في الأمور المتعلقة بالقدر، اعتقاد أن هناك تناقضاً بين الشرع والقدر، وعليه فالواجب – أولاً – بيان انتفاء التناقض بينهما ، وأنه لا يلزم لإثبات القدر القدح في الشرع ، كما فعلت الجبرية ، ولا يلزم لإثبات الشرع القدح في القدر ، كما فعلت القدرية ، وأن التسليم بكليهما يقتضى عدم الميل بأحدهما عما يجب فيه ، لذا كان المنهج الصحيح هو التوسط وعدم ضرب نصوص التشريع بعضها ببعض ، بل الإيمان بأن: "أدلة الجبرية متضافرة صحيحة على من نفي قدرة الرب على شيء من الأعيان والأفعال ، وعموم مشيئته وخلقه لكل موجود ، وأدلة القدرية متضافرة صحيحة على من نفي فعل العبد وقدرته ومشيئته واختياره وقال: إنه ليس بفاعل شيئاً ، والله يعاقبه على مالم يفعله ، ولا قدرة له عليه بل هو مضطر إليه مجبور عليه[٤] . وهذا من

---

١) محمد رضا المظفرص٦٧ـــــ٦٨

٢) انظر:العقدالثمين في معرفة رب العالمين للأميرالحسين بن بدرالدين محمد بـن يحـيى عـالم الزيديـة ص٣٧ـــــ٣٨

٣) انظر:أصول مذهب الشيعة الإمامية الأثنى عشرية عرض ونقد د/ناصـرالقفارى ٢/٦٣٨ـــــ ٦٤٧، والشيعةوالسنة للشيخ إحسان إلهى ظهيرص٦٣: ٦٦

٤) شفاء العليل لابن القيم ص١١٣

شأنه يحل معضلة كون الإنسان مخيراً أم مسيراً ، والحق وسط بين القولين فيقال: إن الإنسان مخير باعتبار ومسير باعتبار، فهو مخير باعتبار أن له مشيئة يختارها ، وقدرة يفعل بها لقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (١) وقوله:﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ (٢) ولقول الرسول(ﷺ) "احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز"(٣) وهو مسير باعتبار أنه في جميع أفعاله داخل في القدر، راجع إليه، لكونه لا يخرج عما قدره الله له ، فلا يخرج في تخييره عن قدرة الله، لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ (٤) وقوله:﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٥) ولقول الرسول (ﷺ) "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنه"(٦)

ولهذا جمع الله بين هذين الأمرين كما في قوله تعالى:﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (٧) فأثبت ﷻ بأن للعبد مشيئة، وبين أن مشيئته تابعة لمشيئة الله واقعه بها.

وكذلك الرسول(ﷺ) في قوله: "ما منكم من نفس إلا وقد علم مترلها من الجنة والنار قالوا يا رسول الله: فيم نعمل ؟ افلا نتكل؟ قال: لا اعملوا فكل ميسر لماخلق له"(٨) فهذا

---

١) الكهف:٢٩

٢) البلد:١٠

٣) مسلم في كتاب القدر، باب في الأمربالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله(٢٦٦٤)

٤) يونس:٢٢

٥) القصص:٦٨

٦) مسلم في كتاب القدر باب حجاج أدم وموسى عليهما السلام (٢٦٥٣)

٧) التكوير:٢٨، ٢٩

٨) مسلم في صحيحه كتاب القدرباب كيفية خلق الأدمى في بطن أمه(٢٦٤٧)

الحديث به دلالة واضحة على أن الإنسان مخير لقوله: "اعملوا" وعلى أنه لا يخرج في تخييره عن قدر الله لقوله: "فكل ميسر لما خلق له"[(١)]

إذن: فالتقدير المشار إليه غير مناف لحرية الإنسان واختياره ، لأن لحظة الاختيار لحظة وجودية تنبع من ذات العبد المريدة المختارة ، كما أن نتائج التسجيل غيب عن علم العبد ، فهو يعمل بلا شعور أو وعى بمن حوله من الملائكة أو سجلاتهم ، فهم لا يتدخلون في اختياره توجيهاً أو عدماً، ولكن معنى التقدير السابق الإلهى لفعل العبد الحر وتسجيل ذلك أن الله ﷻ قدر على العبد في يوم كذا ابتلاءه بكذا ، فهذا قدر له أو عليه. كما قدر سبحانه بعلمه أن العبد هذا سيختار هذا الفعل قبيحاً كان أم حسناً ، فهذا تقدير الله – سبحانه – لما سيحدث من العبد ، أى أنه قدر منه فالقدر بالنسبة للإنسان: قدر له وقدر عليه وهذان جبريان ، وقدر منه وهذا اختيارى[(٢)]

وفي نهاية عرض هذه المسألة نكون قد وصلنا إلى حقيقة هامة ألا وهى: إن للإنسان مشيئة يختارها وقدرة يفعل بها ، وقدرته ومشيئته تابعتان لمشيئة الله ، واقعتان بها. وإن على العبد أن يسعى في مصالحه الدنيوية ، ويأخذ بالأسباب المشروعة والمباحة ، فإذا حصل على مراده حمد الله على توفيقه لذلك ، وإن أتت الأمور على خلاف مراده تعزى بقدره وراجع نفسه فيما اخفق فيه من الأسباب ، وطلب العون من الله[(٣)] .

---

١) انظر في ذلك:دفع إيهام الاضطراب للشيخ محمد الأمين الشنقيطى ص٢٨٦-٢٨٧

٢) القضاء والقدر في الإسلام د/فاروق أحمد الدسوقى ص٣٩٠ -٣٩٢ بتصرف واختصار

٣) انظر المزيد في هذا الشأن في كتاب القضاء والقدر للشيخ محمد متولى الشعراوى ص٩ــــــ ، ومسألة القضاء والقدر لعبدالحليم قنبس وخالد العك ص١١٥-١٥٠



المبحث الثالث : العلاقة بين الدعاء والقضاء

المطلب الأول : عقيدة أهل السنة والجماعة في علاقة الدعاء بالقضاء

الحق إن الخلاف في الدعاء كما يقول محمد رشيد رضا (١) أقوى من الخلاف في الكرامات ، فمسألة الكرامات ليست من أصول الدين ولا من فروعه ، ولا يوجد في الكتاب والسنة دليل على طلب حصولها ، ولا على مطالبة الناس بالإيمان بها ، وأما الدعاء فهو مطلوب بلا خلاف ، ومحل الخلاف في نفع الدعاء لا في استجابته ، خاصة وأنه لم يقل أحد أئمة المسلمين بأن الدعاء يستجاب حتماً ولا أن الأصل أو الأكثر أنه يستجاب ، ولكنهم قالوا إن الدعاء ينفع سواء استجيب أم لم يستجب (٢) .

حيث كان قولهم أن هناك من يستهين بشأن الدعاء ويرى أنه لا داعى له ولا جدوى من ورائه ، طالما أن الله ﷻ يعلم حاجة العبد ، وأنه لن يصيب العبد إلا ما قدر له. وربما قال قائلهم لا حاجة لنا بالدعاء إذا نزل البلاء وهذا القول قول باطل ؛ لأنه مناف للإيمان بالقدر، وتعطيل الأسباب وترك لعبادة هى أكرم العبادات على الله ﷻ ، فالدعاء أمره عظيم ، وشأنه جلل ، به يرد القضاء ، وبه يرفع البلاء ، فهو ينفع مما نزل ومما لم ينزل(٣) ؛ لذا أخذوا في بيان الأدلة العديدة والمتنوعة الموضحة والمثبته لهذا المعتقد ، وعلى رأسها

---

١) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني ولد٢٣سبتمبر١٨٦٥م في قرية "القلمون لبنان وتوفي بمصر ١٩٣٥.(انظر:إبراهيم العدوي، رشيد رضا الإمام المجاهد، القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمةوصلاح زكى أحمد، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصرالحديث، القاهرة :مركز الحضارة العربية، ٢٠٠١م)

٢)مجلة المنارالمقالة السابعة عشرة في أنواع الخوارق وضروب التعليل والتأويل (النوع الحادى عشر:استجابة الدعاء٦/٤٠٦

٣) انظر:الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ٣٦ـــ ٣٧

الأدلة القرآنية باعتبارها الحق في ذاته في هذه القضية ؛ لكونها كلام الله تعالى ، وحتى تكون النتائج التي يتوصلون إليها بمثابة الميزان الذى توزن به نتائج الفرق وآرائها، لأن التضارب قائم في فكر الفرق كما رأينا ، وليس في كلام الله تحقيقاً لقوله:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (١) وأدلتهم كما يلى: -

أولاً : الأدلة من القرآن الكريم : -

الأدلة القرآنية وتنوعها في هذا الشأن تنقسم إلى خمسة أنواع ألا وهى : -

١-النوع الأول: - هى المتمثلة في الآيات الآمرة بالدعاء ، وكل أمر من الله - تعالى - للعباد يحظون بالثواب عليه إذا التزموا به وعملوا بمقتضاه ، ويتعرضون للمسائلة والعقاب عليه إذا أخلوا به وتجنبوا مزاولته، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (٢)

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٣) وإن اختلف المفسرون في المقصود بالدعاء هنا ، حيث رجع البعض أنه العبادة(٤) وقيل هو الذكر والدعاء والسؤال . أى فسر على ظاهر اللفظ ، ويكون المعنى استجب لكم إن شئت (٥) كما

---

١) النساء:٨٢

٢) البقرة:١٨٦

٣) غافر: ٦٠

٤) راجع تفسير الطبرى المسمى جامع البيان في تأويل القرآن لأبى جرير الطبرى المجلد الثانى ١٦٦- ١٦٧

٥) انظر:تفسيرالقرآن الحكيم الشهيربتفسيرالمنارللإمام محمدرشيدرضا جـ٢ص١٦٩،والمرجع السابق نفس الصفحة

في قولـه:﴿ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ ﴾ [(١)] وهـذا القـول هـو المعـول إليه لدى أهل السنة والجماعة هنا.

٢- النوع الثاني: - هي الآيات المشيرة إلى غضب الله - تعالى - على من ترك الـدعاء ، وغضبه - تعالى - دليل واضح على حبه لاستنجاد عباده به ، وهـذا مسـتلزم لرضـاه المستلزم من جهة أخرى لإجابة الداعي وتحقيق مبتغاه ومن هذا النوع قوله تعالى:﴿ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ ﴾[(٢)] وقوله:﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ ﴾ [(٣)]

٣-النوع الثالث: - الأدعية التي لم ينسبها القرآن الكريم لأحد ، والتي تعتبر نماذج إلهيـة للدعاء ، ساقها الله تعالى لتكون خير قدوة يقتدى بها البشر في صـياغة أدعيتـهم. ولعـل الحكمة الإلهية من هذه القدوة هو قبول ما قدموا من دعاء واستجابته ومـن هـذا قولـه تعالى:﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [(٤)] وقوله عزمن قائل:﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا ﴾ [(٥)]

٤- النوع الرابع:-الآيات القرآنية التي نصت صراحة على استجابة الله-تعالى- لمن دعـاه من سائر الخلق، وهذه الاستجابة دليل واضح على وفاء الله- سبحانه-بوعده في الاستجابة لمن دعاه، حيث استجاب للخليل إبراهيم-عليه السلام-حينمـا قـال:﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ

---

١) الأنعام :٤١

٢) الأنعام :٤٣

٣) المؤمنون :٧٦

٤) الفاتحة :٦

٥) البقرة:٢٨٦

﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [١] كما استجاب لموسى الكليم –عليه السلام حينما قال: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾ [٢] واستجاب لجند طالوت حينما قال: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ [٣]

٥- النوع الخامس: الآيات القرآنية التي وضعت مواصفات وشروط لقبول الأدعية ، ولا يتأتى هذا الاهتمام بالدعاء إلا إذا كان ذو نفع وأثر، وكانت الإجابة جديرة بالتنفيذ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [٤] وقوله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [٥].

فهذه الأنواع الخمسة دالة بوضوح على نفع الدعاء ، كما تدل على أن الله – تعالى – لا يخلف وعده الذى قطعه في قرآنه المجيد من استجابته – تعالى – لمن رفع إليه أكف الضراعة مستنجداً وسائلاً [٦]

– كما أن عمدة الآيات القرآنية التي تدل دلالة واضحة على كون الأقدار تنزل على البشر بناء على اختيارهم وأدعيتهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا

١) البقرة :١٢٩

٢) يونس:٨٨

٣) البقرة:٢٥٠

٤) الأعراف :٥٥

٥) الأعراف :٥٦

٦) انظر:المزيد من هذه الآيات في المبحث الأول أدلة الدعاء من القرآن الكريم



وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ (١) .

وما يمكن استنباطه من الآيات الكريمات أن الأحداث الطبيعية والبشرية التي تنزل جبراً من السماء إلى الأرض إنما تنزل بأمر الله بناء على أفعال الناس الاختيارية ، وما أثبتته هذه الآيات كشاهد على ذلك هو أن الأحداث الطبيعية كالمطر والإنبات إنما يفعلها الله – سبحانه – فعلاً مباشراً بالعلل الفيزيقية والغيبية ، وذلك حسب أقدار مقدرة قبل الخلق بناء على اختيارات الناس وأفعالهم المقدرة أيضاً ، فالطيبون يخرج لهم نباتاً طيباً ، ومن هم بخلاف ذلك لا يخرج إلا نكدا.

وعمدة هذه الحقيقة القرآنية قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ (٢) وقوله تعالى فيما يقصه علينا من قول نوح لقومه: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ (٣) هكذا نجد العلة الحقيقية في نزول المطر والثراء وكثرة الأولاد

---

١) الأعراف: ٥٤ـــ ٥٨

٢) الرعد: ١١

٣) نوح: ١٠- ١٢

الاستغفار من الناس ثم الاستجابة من الله سبحانه حيث يمحو أقدارهم ويثبت كما هو عنده في أم الكتاب[١] .

ثانياً: الأدلة من السنة النبوية: -

ولقد تضافرت الأحاديث النبوية – أيضاً – في بيان وتوضيح موقف الدعاء من القضاء على حد قول أهل السنة منها: -١- أنه قيل له: يا رسول الله: "أرأيت رقى نسترقى بها ودواء نتداوى به ، وتقاه نتقيها ، هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ قال: هي من قدر الله"[٢]

فهذه أسباب يطلب بها البرء والشفاء ، وهذا بخلاف من رام أن يصل إلى الشفاء دون الأخذ بالدواء ، أو أسقط الدعاء والدواء ليصل إلى رفع البلاء وفي مثل هذا يقول ابن القيم: "فهل يعد أحد هذا من جملة العقلاء هل البهائم إلا أفقه منه ؟ فإن البهيمة تسعى في السبب بالهداية العامة[٣] كما يقول:(الأسباب محل حكمة الله وأمره ودينه، والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره ، فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل)[٤]

وقوله: (هي من قدر الله) فيه فائدة عظيمة أشار إليها الإمام الزركشي[٥] في قوله: "إن الرقى والدواء لا تستقل برد القضاء ، لكن الله تعالى إذ أراد رد قضائه بحسب سابق علمه،

---

١) انظر:القضاء والقدر في الإسلام د/فاروق أحمد الدسوقي ص٣٨٧- ٣٨٨

٢) سنن الترمذي ، كتاب القدر عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء لا ترد الرقى ولا الدواء من قدر الله شيئا رقم الحديث٢١٤٨

٣) الجواب الكافي :ص٣٧

٤) مدارج السالكين جـ ٢ص٣٥٧ انظرأيضا تفسيرالمنارلمحمد رشيدرضا جـ٢ص١١٧

٥) أبو عبد الله، بدر الدين، محمد بن بن بهادر بن عبد الله الزركشي المصري فقيه ومحدث وله مشاركة في علوم كثيرة. وُلد في القاهرة سنة ٧٤٥هـ، و تُوفي سنة ٧٩٤هـ (سيرة أعلام النبلاء ج٦ ص٦٠-٦١)

قدر التسبب باستعمال الرقى والأدوية ، فكان هو في الحقيقة القاضى الراد ، وقد صـــحت السنة بمشروعية التداوى والاسترقاء[١]

٢– عن ابن عمر– ﷺ– قال: قال رسول الله (ﷺ) "من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة وما سئل الله شيئاً يعطى أحب إليه من أن يسأل العافيه ، إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم يترل ، فعليكم عباد الله بالدعاء"[٢]

٣– وعن جابر بن عبدالله – ﷺ– قال: قال رسول الله (ﷺ) : "لاتدعوا على انفســـكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيهـــا عطاء فيستجيب لكم"[٣] والحديث يدل بوضوح على تأثير الدعاء في القدر المكتوب ؛ ولهذا ورد النهى والمنع من الدعاء على الأنفس والأرحام والأولاد خوفاً من أن توافق ساعة إجابة ؛ لذا قال شارح الطحاوية: "فإذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال لا فائدة في الدعاء ، كما لا يقال لا فائدة في الأكل والشرب والبذر وسائر الأسباب فقول هؤلاء كما أنه مخالف للشرع فهو مخالف للحس والفطرة[٤]

٤–وماروه ثوبان عن رسول الله(ﷺ) أنه قال: "لايرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمـــر إلا البر، وأن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه[٥] .

---

١) عون المريد لشرح جوهرة التوحيد لعبدالكريم تنان ومحمد الكيلانى ٩٥٥/٢، وانظرأيضـــاً:إحياء علـــوم الدين لأبي حامد الغزالى ١٧٣٨دار الكتاب العربي

٢)سنن الترمذي، كتاب الدعوات ، باب في دعاء النبي ﷺ رقم الحديث (٣٥٤٨)

٣) سبق تخريجه فيما سبق

٤) شرح العقيدة الطحاوية ص٤٦٠، وانظرأيضاً:الجواب الكافي ص ٣٨

٥)ابن ماجه ، في مقدمة باب القدر(٩٠)، والترمذى ،القدرباب لايردالقدر الا الـــدعاء(١٣٩) وحســـنه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٨٧)

٥- وعن عائشة -رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله (ﷺ) : "لا يغنى حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم يترل، وأن البلاء ليترل فيلقاه الدعاء فيعتلجان"(ويتصارعان ويتدافعان) إلى يوم القيامة "[1]

٦- وعن سلمان الفارسى ﷺ قال: قال رسول الله (ﷺ) " لا يرد القضاء إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر"[2] فهذان الحديثان الشريفان وما جاء على منوالهما يبينان الصلة الوثيقة بين الدعاء وكل من القضاء والقدر إذ في حديث ثوبان بين الرسول(ﷺ) أن القدر لا يرده إلا الدعاء. ....وفي رواية سلمان بين المصطفي أن القضاء لا يرده إلا الدعاء.... فالقضاء حكم معد للنفاذ والدعاء رجاء من العبد مرفوع منه إلى مولاه للحد أو التخفيف من هذا الحكم الشامل بالنفاذ ؛ ولذلك يوضحان الحديثان أن الدعاء من أعظم النعم الإلهية على البشر، إذ هو وحده الذى يستطيع - فقط - أن يرد القضاء[3] .

ولقد وفق القاضى أبوبكر العربى[4] في تفسير أحاديث رسول الله(ﷺ) الواردة في هذا المقام والحاملة لهذه المعانى حيث أبان الصلة التي تربط الدعاء بالقضاء فقال: "الدعاء مناجاة الله تعالى - لما يريد العبد من جلب منفعة أو دفع مضرة... ومن القضاء رد البلاء بالدعاء فهو سبب لذلك واستجلاب لرحمة المولى كما أن الترس سبب لرد السهم والماء سبب

---

١)المستدرك على الصحيحين ، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكررقم الحديث (١٨٥٦)

٢)سنن الترمذي ، كتاب القدر عن رسول الله ﷺ رقم الحديث(٢١٣٩)

٣) راجع في ذلك:اتحاف السادة المتقين للزبيدى٥/٣٠ والشرح والإبانةعلى أصول السنة والديانة لابن بطة العكبرى ص٢١٥

٤) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي المَعافري، الإشبيلي. ولد بإشبيلية سنة ٤٦٧ هجرية، في أسرة جمعت بين علوم الدين والمناصب الدنيوية والسياسية. فأبوه كان عالما فقيها، شاعرا ماهرا، خطيبا مفوها توفي في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وحمل إلى فاس حيث دفن فيها(انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٠/ ١٩٧).

خروج النبات من الأرض ، والدعاء سلاح المؤمن. فإذا كان العبد مواظباً على الطاعات كثير الدعاء مملوء بالخيرات فيحتبس ذلك البلاء عند النزول ولا يجد منفذ إليه فيكون دعاؤه وعمله قد حجبا عنه البلاء ، لأن الدعاء من الله تعالى بالمكان العالى فيتصادم بالبلاء ، فتارة يغلب الدعاء وتارة يغلب البلاء فهما متصارعان....فإن غلب الدعاء رفع البلاء وإن غلب البلاء أزال الدعاء ونزل على العبد "وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ ﴾ (١)

ثالثاً: الدليل الفطرى على فاعلية الدعاء: -

في فطرة كل إنسان وفي نفسه طريق يسير به إلى الله سبحانه ، قال تعالى:﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ (٢) وهذا الأمر أصيل في فطرة الإنسان وطبيعى في وجوده ، هذه الفطرة قد تغطيها حجب الإثم والشقاء ، لكنها لا تلبث أن تتجلى وتتحرك وتبرز للعيان ، وذلك عندما تتعرض للابتلاء وتنقطع بها الأسباب التي كان الاعتماد عليها ، حيث يتوجه الإنسان حينها إلى قدرة يعتقد أنها قادرة على غلبة وقهر الأسباب والعلل الظاهرة ، وهو في ذلك إنما يلجأ إلى الله القدير، حيث يدعوه واثقاً بقدرته. إن غريزة الدعاء والالتجاء إلى الله هى من الغرائز البشرية العليا التي لابد أن يعرفها الإنسان ، فهى الهادية والمرشدة له ، وكل غريزة من هذا القبيل لا يكون وجودها عبثياً في الإنسان ، بل وجدت بناء وتلبية لحاجة

---

١) يوسف: ٢١ نقلاً من كتاب الدعاء والقضاء والقدر د/محمد محمود أحمد وموسى الخطيب ص٣٢(ويفهم من هذا التفسيرأن الظفرلايكون إلاحيث يريد الله - تعالى - لأحدهما الغلبة على الآخر، فإن قبل الدعاء واستجيب عند الله فتبرزه المشيئة الآلهية في صورة المنتصرعلى البلاء، وإن رفض الدعاء و لم يستجب لدى الله تبرزه المشيئة في صورة المغلوب على أمره بانتصارالبلاء عليه، وبناء عليه يفهم أن كل دعاء ليس مستجاب البته)

٢) الذاريات: ٢١

ضرورية لديه ألا وهى توجه الإنسان إلى قدرة قادرة على غلبة وقهر الأسباب والعلل الظاهرة ، وهذه الغريزة مادامت موجودة فيه فإن لها واقعاً وحقيقة في الخارج. وخير ما يجسد ذلك قول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (١)

إذن من يعترض على كون الدعاء مخالفاً للقضاء والقدر، وللحكمة الإلهية والتسليم والرضا فيكون الجواب عليه من قبل أهل السنة والجماعة بأن الدعاء هو جزء من القضاء والقدر وهو عين الحكمة الإلهية ، والتسليم والرضا بمشيئة الله سبحانه.

رابعاً: الأدلة العقلية: -

أن العقل السليم يدل على نفع الدعاء ؛لأن العقل دل على وجود الله – سبحانه – وأنه فعال لما يريد ، وأنه لا معقب لحكمه. نعم العقل قاصر ولكنه يرى آثار الأدعية وإجابتها ومما يحصل بالدعوات من كشف الكربات ونيل الرغبات. وأنه لو لم يكن الدعاء نافعاً ومؤثراً ما أمر الله – تعالى – رسوله والمؤمنين به ، ولكنه أمرهم به فثبت أنه نافع ، ولهذا دعا الرسل وفي مقدمتهم المصطفي(ﷺ) وسار على نهجه صحابته(رضوان الله عليهم) والتابعون والأولياء الصالحون. وقد حكى لنا القرآن الكريم نماذج متنوعة من دعواتهم (٢)

– ومما يدل – أيضاً – على نفع الدعاء وفاعليته، أن الله – سبحانه – نفي عنه الارتباط بالمشيئة وجعل طلبه من باب العزم من جهة العبد لا من جهة الرب بخلاف غيره من الأفعال التي اوجب اقترانها بالمشيئة وعدم الاتكال على الفعل منفرد ، وذلك تحقيقاً

---

١) يونس:٢٢

٢) راجع في ذلك المبحث الأول من البحث،وانظرأيضاً:كتاب الدعاء د/محمدالسيدطنطاوى رحمه الله ص٦٤

لقوله: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [1] أما دليل العزم في الدعاء عن أنس قال: قال رسول الله (ﷺ) "إذا دعوتم الله فاعزموا في الدعاء ولا يقولن أحدكم إن شئت فأعطى، فإن الله لا مستكره له"[2] وفي روايه: "لا يقل أحدكم اللهم اغفر لى إن شئت ، ارحمنى إن شئت ارزقنى إن شئت ، وليعزم مسألته إنه يفعل ما يشاء لا مكره له"[3] ومعنى قوله: "فإنه لا مستكره له أو فإنه لا مكره له" المراد "أن الذى يحتاج إلى التعليق بالمشيئة ما إذا كان المطلوب منه يتأتى إكراهه على الشيء فيخفف الأمر عليه ، ويعلم بأنه لا يطلب منه ذلك الشيء إلا برضاه ، وأما الله فهو منزه عن ذلك فليس للتعليق فائدة[4] .

والتعليق بالمشيئة كأن فيه استغناء من العبد عن إجابة المطلوب في الوقت الذى يكون فيه السائل محتاجاً إلى طلبه ويناسب هذا الحزم والجزم ، ولهذا بوب الإمام البخارى عليه بقوله: "ليعزم المسألة ، فإنه لا مكره له"[5]

خامساً: - الاستدلال بعمومية وشمولية صفة العلم والقدرة والإرادة لله تعالى:

أن مزالق الشرك بالله إنما تكمن في النظر إلى العلل الفيزيقية والعلل الغيبية لنفاذ القدر الإلهى في الأرض واعطائها الفاعلية المستقلة، واعتبارها مصدر للخلق والفعل والإحياء والإماتة والنفع والضر وغير ذلك ، حيث ينقسم الفكر البشرى حيال هذا الأمر إلى قسمين: أصحاب الفكر المادى القائم على الإيمان بالمحسوس ورفض الإيمان بالغيب،

---

١) الكهف٢٣: ٢٤ انظر:تفسيرالآية لدى ابن كثيرفي تفسيرالقرآن العظيم المجلد الخامس ص١٤٥

٢) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد، باب المشيئة والإرادة رقم الحديث (٧٠٢٦)

٣) أخرجه البخارى كتاب التوحيد، باب المشيئة والإرادة رقم الحديث (٧٤٧٧).

٤) فتح البارى ١٤٠/١١

٥) السابق ١٣٩/١١

وأصحاب التفكير الديني في عهودهم المتأخرة، حيث الانحرافات الفكرية والاتجاهات ذات الغلو في النواحي الغيبية والروحية[١]

فالاتجاهان غير مدركين أن النوعين من العلل– الغيبية والطبيعية – ليسا مؤثرين ولا فاعلين على الحقيقة ، إنما هما أدوات وجنود لله – سبحانه – يفعل بهما ما يشاء في ملكه ، ومن ثم فليست لهما فاعلية مستقلة ، أو مشيئة أو قدرة تعمل باستقلال ، وإنما هم أداة المشيئة والقدرة الإلهية غير المحدودة.

وذلك ينقلنا إلى معلومة أخرى ذات شأن عظيم آلا وهى العلاقة بين الله وخلقه ، فعلى الرغم من كونه – سبحانه – بائناً عن خلقه[٢] إلا أن العلاقة قائمة ومتصلة وليست مقطوعة. وهنا نجد القرآن الكريم يقدم للإنسانية ما أجمعت عليه الأمة الإسلامية بمفكريها الملتزمين بالقرآن والسنة وبالمنهج النبوى كمفهوم صحيح للتوحيد بأن الله – سبحانه – عليم لكل ما يحدث في الكون ، بصير به ، قدير عليه ، وسميع لدبيب النملة ، وهو– سبحانه – يدبر الأمر من السماء إلى الأرض بقدرته وسمعه وبصره وعلمه وجبروته ورحمته وفاعليته ومشيئته[٣] ، وهذا الناموس[٤] الذى سنه لفاعليته في تعامله مع خلقه ليس حاكماً له في فعله وإنما هو محكوم من الله ، مراد بمشيئته نافذ بقضائه. فقد يأتى فعله بالعلل الغيبية والطبيعية معا[٥] أو بإحداهما[٦] أو بدون علة مطلقاً إذا أراد[٧] ، ومن ثم فالقدر المدون قبل الخلق في أم الكتاب ، والذى تسلسل فيه الأفعال بناء على سوابقها ، ليس سلسلة منيعة من العلل والمعلولات التي لا يمكن الرجوع عنها ، أو تغيرها ، أو ضبطها ، أو منعها من

١) انظر الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة د/يحيى هاشم حسن ص٩، وديانات ومذاهب أهل العالم د/عصام الدين محمدعلى "المادية الجدلية" ص٢٨٧، "مادية العقل المبدع " ص٢٩٩
٢) تحقيقاً لقوله تعالى:"لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ..."(الشورى:١١)
٣) وهذا ماوضحته كمعتقد لأهل السنة والجماعة في الحقيقة الأولى في المبحث الثانى
٤) حيث إيجادهم أو افناؤهم واحياؤهم واماتتهم ونفعهم وضرهم وغيرذلك مما يحدث في شئون الخلق
٥) وذلك كماهوفي الأمورالطبيعية التي نشاهدها كل يوم .
٦) كالمعجزات التي على أيدى الرسل
٧) كالأشياء التي تكون بمشيئته تعالى بقوله له "كن فيكون"

الصدور[1] وإذا لم يكن ذلك هو صفة الخلق والأمر الالهى فإنه يصل بنا إلى أمرين خطيرين الأول: اثبات استقلال للقدر يستتبع حاكمية على الفاعلية الإلهية تحد من القدرة والمشيئة الإلهية ، فضلاً بأن تجعل القدر شريكاً معه سبحانه وهذا محال[2]

الثانى: يؤدى ذلك – أيضاً – إلى القول بأن الله – سبحانه – قد اعتنى بالعالم مرة واحدة فخلقه ورتب كل شيء في القدر المكتوب ، ثم جعل الأشياء والمخلوقات يصدرون كل يستتبع الآخر، وكل سابق يوجب ايجاد لاحقه. ومن ثم ذلك يعنى انقطاع الصلة بين الله والعالم ، واهماله له بعد عنايته به مرة واحدة في البدء ، وذلك يؤدى حتماً إلى نسبة العجز إلى القدرة الإلهية والفاعلية ، والحد من المشيئة ونسبة الجهل وعدم العلم – تعالى سبحانه عن ذلك – حيث يستتبع ذلك عدم مقدرته أو عدم جواز إرادته التغير لأى شيء سوف يحدث أو منع أى شيء من الحدوث ، ومن ثم يصبح صدور العالم خلقاً وفعلاً عن فاعليته – سبحانه – في المرة الأولى صدوراً ميكانيكياً وتصبح السيطرة والهيمنة في الحقيقة للعلل الغيبية والطبيعية[3]

ومن أجل ذلك يثبت القرآن الكريم شمول العناية الإلهية لكل الموجودات الكائنة وذلك كما في قوله على لسان لقمان لابنه:﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾[4]وعمومية العلم، والقدرة المطلقة ، والإرادة والمشيئة النافذة[5]

---

١)القضاء والقدرفي الإسلام د/فاروق أحمد الدسوقى ص٣٨٠ ــــ ٣٨١ باختصاروتصرف

٢) وهذا ماوقع فيه الرواقيون (راجع:المفكرون من سقراط إلى سارترلهنرى توماس ودانا لى توماس ص٥٤ومابعدها)

٣) وذلك ماوقعت فيه الرواقية وبعض الفلاسفة وتأثرت به المعتزلة بعض الشيء

٤) لقمان :١٦

٥) راجع ذلك في الحقيقة الإيمانية الأولى في المبحث الثاني.

فالصلة بين الله – سبحانه – وخلقه صلة أخذ وعطاء ، يعطى الله خلقه وجودهم وما يفيد استمراره ويأخذ منه الخلق ذلك، وتلقى وقبول وعمل ورضاء فإدارته للكون وانفاذه للقدر المكتوب، إنما يتم بأمره الكوني الخاص به وحده تحقيقاً لقولـــه:﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾(١) فهو وإن كان قد أمر القلم أن يكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة ، وأن كان القدر أمراً حتمياً لازم الوقوع باعتبار أنه صادر بمشيئته تعالى ، إلا أنه يدبر هـــذا الكـــون بأمره ومشيئته أيضاً "كل يوم"(٢) ومن ثم يبين لنا هذه الصلة الحية النابضة القائمة بينه تعالى وبين خلقه مباشرة بقوله:﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾(٣)

إذن: فالعلاقة – كما مر– ليست علاقة عناية منذ البدء ثم انقطاع بعد تدوين المقادير، وليست الأمور تجرى على العباد بفعل العلل الغيبية والطبيعية بسلســـة محكمـــة حاكمـــة للفاعلية الإلهية ، وإنما الأمور تنزل من السماء إلى الأرض بناء على سلوك العباد وأفعـــالهم الاختيارية(٤) ودعائهم وطلبهم من ربهم ما يريدون. لذا فالعلاقة ليست بين الخلـــق وبـــين القدر، أوبين الخلق وبين الدهر وإنما هى بين الخلق وبين ربهم ومن ثم قال:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾(٥) بل أنه أمر العباد بالطلـــب منـــه والدعاء فقال:﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾(٦)

---

١) الأعراف :٥٤

٢) انظر:الجامع لأحكام القرآن للقرطبى المجلد الرابع ص٢٢٥ــــ ٢٢٦

٣) الرحمن:٢٩

٤) كما أثبتنا ذلك في الحقيقة الثالثة في المبحث الثاني

٥)البقرة :١٨٦

٦) غافر:٦٠

سادساً : قضية المحو والإثبات :-

فقد استدل أهل السنة بمسألة المحو والإثبات ، حيث كان معتقدهم إن من القضاء ما يكون محتوماً، وهو الثابت، ومنه ما يكون مصروفاً بأسبابه وهو المحو، ودليل المحو والإثبات قوله تعالى:﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [(١)] وقد روى الإمام الطبرى في تفسير الآية عن جمع من الصحابه والتابعين أهم كانوا يدعون الله – سبحانه – بتغيير المصير وإخراجهم من الشقاء – إن كتب عليهم – إلى السعادة فقد جاء عن عمر بن الخطاب – ﷺ – أنه كان يقول وهو يطوف بالكعبة: "اللهم إن كنت كتبت على شقوة أو ذنباً فامحه واجعله سعادة ومغفرة فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب" [(٢)] وروى نظير هذا الكلام عن ابن مسعود وابن عباس[(٣)] وروى عن ابن زيد أنه قال في قوله سبحانه ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ بما يترل على الأنبياء و"يثبت" ما يشاء بما يترله إلى الأنبياء وقال:﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ لا يغير ولا يبدل [(٤)]

وقال الزمخشرى[(٥)]:﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ ينسخ ما يستصوب نسه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في إثباته أو يترله غير منسوخ "[(٦)]

---

١) الرعد:٣٩

٢) أخرجه اللالكائى عن عمرفي كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/٣٤٦ط٣سنه١٣١٥هـ

٣)تفسيرجامع البيان المجلد السابع ص٤٣٨، انظرأيضاً معالم التتريل للبغوى جـ٣ص٢٢

٤) المرجع السابق نفس الصفحة

٥) هو العلامة كبيرالمعتزلة أبوالقاسم محمودبن عمربن محمدالزمخشري الخوارزمي النحوي صاحب " الكشاف "المفصل ."كان مولده بزمخشر -قرية من عمل خوارزم -ولد في رجب سنة سبع وستين وأربعمائة ومات ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة(سيرة أعلام النبلاء « الطبقة الثامنة والعشرون جـ٢٠ ص١٥١)

٦) الكشاف ٢/٥٢١

وقال الرازى[١] إن في هذه الآية قولين: الأول: إنها عامة في كل شيء كما يقتضيه ظاهر اللفظ قالوا: إن الله يمحو من الرزق ويزيد فيه ، وكذا القول في الأجل والسعادة والشقاوة........هو مذهب عمر وابن مسعود.

والقول الثانى: إن هذه الآية خاصة في بعض الأشياء دون البعض ثم قال قائل: ألستم تزعمون أن المقادير سابقة قد جف بها القلم وليس الأمر بأنف ، فكيف يستقيم مع هذا المعنى المحو والإثبات ؟ قلنا: ذلك المحو والإثبات – أيضاً – مما جف به القلم ، فإنه لا يمحو إلا ما سبق في علمه وقضائه محوه[٢]

وقال القرطبى[٣] بعد نقل القولين وأن المحو والإثبات هل يعمان جميع الأشياء أو يختصان ببعضها: مثل هذا لا يدرك بالرأى والاجتهاد ، وإنما يؤخذ توقيفاً وإلا فتكون الآية عامة في جميع الأشياء ، وهو الأظهر ثم نقل دعاء عمر في حال الطواف ودعاء عبدالله بن مسعود ثم قال: روى في الصحيحين عن أبي هريرة قال: سمعت النبى (ﷺ) يقول: من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه"[٤]

---

١) الفخرالرازى :محمدبن عمربن الحسن بن الحسين بن على التيمى البكرى وهو أمام مفسرشافعى، عالم موسوعى ولد في الرى قرشي النسب أصلة من طبرستان رحل إلى خوارزم وكان قائماً لنصرة الأشاعرة ورد على الفلاسفة والمعتزلة ولقب بشيخ الإسلام (ولد عام ٥٤٤هـ وتوفي في مدينة هراء٦٠٦هـ (سيرأعلام النبلاء للذهبى الجزء الحادى والعشرون ص٥٠١)

٢) مفاتيح الغيب المجلد التاسع ص٢٦٣ـ٢٦٤

٣) الإمام، شيخ الموصل أبو بكر، يحيى بن سعدون بن تمام، الأزدي القرطبي المقرئ النحوي ويلقب بصائن الدين ولد سنة ست وثمانين وأربعمائة، توفي بالموصل يوم عيد الفطر سنة سبع وستين وخمسمائة (سير أعلام النبلاء الطبقة الثلاثون الجزءالعشرون ص: ٥٤٧).

٤)الجامع لأحكام القرآن جـ ٩ ص٣٣٢



وهذه الجمل والكلم عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان والمفسرين ، تعرب عن الرأى العام بين المسلمين – رأى أهل السنة – في إمكان تغيير المصير بالأعمال الصالحة والطالحة ، ومنها الدعاء والسؤال ، وأنه ليس كل تقدير حتمياً لا يغير ولا يبدل، وأن لله – سبحانه – لوحين لوح المحو والإثبات ولوح "أم الكتاب" والذى لا يتطرق التغيير إليه هو الثاني دون الأول. وفي ذلك يقول ابن حجر: "ما سبق في علم الله لا يتغير ولا يتبدل ، والذى يجوز عليه التغيير والتبديل ، ما يبدو للناس من عمل العامل ، ولا يبعد ذلك بما في علم الحفظة والموكلين بالآدمى ، فيقع فيه المحو والإثبات ، كالزيادة في العمر والنقص ، وأما ما في علم الله فلا محو فيه ولا إثبات[1] ويقول هنا أيضاً – الآلوسى – رحمه الله – ما ملخصه: إذا كان المحو والإثبات بالنسبة لما في أيدى الملائكة فلا فرق بين السعادة والشقاوة ، الرزق والأجل ، وبين غيرها من المقادير في أن كلا يقبل المحو والإثبات ، وإن كانا بالنسبة إلى ما في العلم ، فلا فرق – أيضاً – بين تلك الأمور وبين غيرها ، في أن كلاً لا يقبل ذلك ، لأن العلم إنما تعلق بها على ما هى عليه في نفس الأمر، وإلا لكان جهلاً ، وما في نفس الأمر مما لايتصورفيه التغير ولا التبدل ، فكأن المعنى: يمحو ما يشاء محوه، ويثبت ما يشاء إثباته مما سطر في الكتب، وثابت عنده في العلم الأزلى الذى لا يكون شيء إلا على وفق مافيه.وقال: ويبدو أن الأمر أكبر من أن نحيط به علما، وأنه لا يسلم من أراد أن يفهم صفات الله من خلال واقع الإنسان وصفاته ، وما على الموفق إلا أن يقطع بتعلق علم الله أزلاً بالأشياء على وجه الإحاطة، وأنه لا يطرأ أى تغيير على ذلك أبداً وأن المحو والإثبات يدوران مع ما أثبت الله في اللوح ولا يخرجان عما علمه أزلا [٢] .

---

١) فتح البارى١١/٤٨٨، والمنهاج شرح مسلم للنووى ١٦/٢١٣

٢) انظر:روح المعاني المجلد الثامن ص٥٥٥-٥٦٥(وهذا ما ثبت حقيقته من خلال الحقيقة الأولى في المبحث الثاني)

– كما كان معتقدهم أن القول بسيادة القدر على اختيار الإنسان في محل الطاعة والمعصية قول بالجبر الباطل بالعقل والضرورة ومحكمات الكتاب ، ومن جنح إليه لزمه القول بلغوية إرسال الرسل ، وإنزال الكتب[١] ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [٢] وكما أنه – سبحانه – يداه مبسوطتان لعباده[٣] كذلك العبد مختار في أفعاله لا مسير، وحر في تصرفاته لا مجبور، له أن يغير مصيره وقدره بحسن فعله وجودة عمله ، ويخرج اسمه من الأشقياء ، ويدخله في السعداء والعكس فالله – سبحانه – كما يمحو ويثبت في التكوين ، فيحيي ويميت، كذلك يمحو مصير العبد ويغيره حسب ما يغير العبد بنفسه (فعله وعمله لقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [٤] وليس في ذلك أى محذور ولا مخالفة للعقل ولا الكتاب والسنة ، بل تغيير القضاء بحسن الفعل وتغيير القدر بسوئه ، هو أيضاً – من قدره وقضائه وسننه التي لا تبديل لها ولا تغيير[٥]

سابعاً : أنواع القضاء :-

بعد أن اثبت أهل السنة والجماعة معتقدهم في مسألة المحو والإثبات كما رأينا في النقطة السابقة ، كان لزاماً علينا أن نسير معهم استكمالاً لفكرهم في علاقة الدعاء بالقضاء ، حيث أخذوا في بيان ما يقع عليه المحو والإثبات ، ومن هنا بدأوا في عرض ما يسمى بأنواع القضاء حيث قالوا: القضاء نوعان: أحدهما: القضاء المثبت أو المطلق أو المبرم وهو ما في أم الكتاب – اللوح المحفوظ – فهذا ثابت لا يتغير ولا يتبدل.

---

١) كما اتضح ذلك في الحديث عن أفعال العباد لدى معتقد أهل السنة في الحقيقة الثالثة المبحث الثاني من البحث

٢) ص: ٢٧

٣) تحقيقاً لقوله تعالى: "وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ "(سورة المائدة : ٦٤)

٤) الرعد : ١١

٥) تحقيقاً لقوله تعالى: سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا (سورة الأحزاب: ٦٢)

وثانيهما:- قضاء معلق أو مقيد: وهوما في كتب الملائكة، فهذا هو الذى يقع فيه المحو والإثبات ، فالآجال والآرزاق والأعمار وغيرها مثبته في أم الكتاب لا تتغير، ولا تتبدل ، أماما في صحف الملائكة فيقع فيها المحو والأرزاق والأعمار وغيرها مثبته في أم الكتاب لا تتغير ، ولا تتبدل ، أما ما في صحف الملائكة فيقع فيها المحو والإثبات ، والزيادة والنقصان ، فالذى في علم الله – كما يقول ابن حجر- لا يتقدم ولا يتأخر، والذى في علم الملك هو الذى يمكن فيه الزيادة والنقص، وإليه الإشارة بقوله تعالى:﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [١] فالمحو والإثبات لما في علم الملك وما في أم الكتاب هو الذى في علم الله – تعالى – فلا محو فيه البته ، ويقال له: القضاء المبرم ويقال للأول: القضاء المعلق[٢]

كما تأكد ذلك من قبل فتاوى علماء الأزهر الشريف حين قالوا: إن العلماء قالوا إن القضاء نوع من علم الله – تعالى – بما سيكون عليه حال العبد قبل خلقه ، ومنه قضاء مبرم لابد من وقوعه لا يدفعه ولا يرفعه شيء ومنه قضاء معلق في وقوعه أو رفعه على شيء ، فالموت مثلاً – قضاء مبرم لابد منه ، ولا يدفعه شيء ، وطول العمر قضاء معلق على فعل مثل صلة الرحم وعمل خير آخر، ومن هذا النوع المعلق أن يعلم الله – سبحانه – أن شيئاً سيحصل للعبد عند دعائه ، وأن مرضاً سيصيبه لا يبرأ منه إلا بالدعاء والعلاج ، فكل حركات العبد والكون معلومة مكشوفة لله تعالى ، ولكنها مغيبة عنا ، ولذلك أمرنا بطاعته ، ومن الطاعة الدعاء الذى يؤكد الإنسان شدة إيمانه بضعفه وحاجته إلى الله ، فإذا حصل

---

١) الرعد :٣٩

٢) فتح البارى في شرح البخارى١٠/٤٣٠، وانظرأيضاً:تأويل مختلف الحديث لابن قتيبه٨٩

الدعاء وتم ما أراد الله كانت إرادته مرتبطة بدعاء العبد كما علمها من قبل ، ومادام أمـر القضاء مغيباً عنا فعلينا امتثال أمر الله في الدعاء وغيره.[١]

إذن: بعد توضيح شأن أنواع القضاء على معتقد أهل السنة والجماعة من كونه قضـاء مبرما وآخر معلقاً ، وأن المحو يكون في النوع الثانى أما الأول فلا تغيير ولا تبديل في أمره ، وهذا يزيل ما قد يبدوا من إشكال بين قضاء الله وقدره المحددان أزلاً وبين ما قد يطرأ مـن تغير من جراء الدعاء أو غيره من أعمال البر أو المعاصى. ومع ذلك هناك فهـم آخـر ذو وجاهة علمية ، وهو أن الدعاء من الأسباب التي يحصل بها المدعو، وهو في الواقـع يـرد القضاء ولا يرد القضاء ، يعنى له جهتان: فمثلاً هذا المريض قـد يـدعو الله – تعـالى – بالشفاء فيشفي فهنا لولا هذا الدعاء لبقى مريضاً ، لكن بالدعاء شفي ، إلا أن هذا القول يذهب إلى أن الله – سبحانه – قد قضى بأن هذا المريض يشفي منه المرض بواسطة الـدعاء فهذا هو المكتوب ، فصار الدعاء يرد القدر ظاهرياً ، حيث أن الإنسان يظن أنه لولا الدعاء لبقى المرض ، ولكنه في الحقيقة لا يرد القضاء ؛لأن الأصـل أن الـدعاء مكتـوب ، وأن الشفاء سيكون بهذا الدعاء وهذا هو القدر الأصلى الذى كتب في الأزل. وهكذا كل شيء مقرون بسبب فإن هذا السبب جعله الله – تعالى – سبباً يحصل به الشيء وقـد كتـب في الأزل من قبل أن يحدث [٢] وهذا الرأى ينتهى بنا بأنه لا حاجة لنا لتقسيم القضاء إلى مبرم ومعلق فالكل قضاؤه. ومكتوب في الأزل ، وهذا يجعلنا ننتقل للحديث في نقطـه آخـرى هامه وهى: –

---

١) لفضيلة الشيخ عطية صقرمايو١٩٩٧م موقع وزارة الأوقاف المصرية

٢) انظر :كتاب فتاوى العقيدة ص٣١٠، وشفاء العليل ص٥٧٠

ثامناً: أحوال أو مراتب التدوين: -

كان قول أهل السنه أن الذى وجدوه في محكم آيات القرآن الكريم هو أن الدعاء جائز، بل هو مطلوب ، كما أن التغيير في القدر أو الإلغاء في بعض مقادير العباد جائز أيضاً ، وذلك لأن ماهو مدون لا ينفذ ويحدث في الأرض بمجرد تدوينه وكتابته ، بل أنه لا يحدث ولا يتترل هذا الأمر من السماء إلى الأرض إلا إذا أراد الله له الترول والنفاذ ، كما رأينا – سابقاً – في سرد الحقائق الإيمانية ، وفي بيان منهجية أهل السنة في معالجة هذا الأمر وتوضيحه.

فالحقيقة أن الله – سبحانه – يتقبل دعاء العباد كما يشاء ، ويغير في أقدارهم النازلة إليهم إلى الأرض ، بناء على أفعالهم ودعائهم له مع عدم نسبة تغيير القدر أو تعطيله أو نفيه ، حيث إن ما هو مدون في أم الكتاب مقضى لامحالة. ولتوضيح هذه الحقيقة يستلزم التحدث عن أحوال التدوين للقدرفي السماء ، حيث إنها تتم على عدة أحوال أعم فأخص كما يلى:

التقدير الأول وهو الأعم: -

وهو التقدير الأزلي قبل خلق السموات والأرض ، وهو أن كل فعل جبرياً كان أو اختيارياً مكتوب ومدون تدويناً وكتابة سابقة على الحدوث في أم الكتاب[1] ودليل ذلك

---

١) انظر: معالم التتريل للبغوى جـ٣ص٢٣(وحكمة التدوين لغلق الباب على الأفهام الضالة التي قد يتطرق إلى أذهانها امكانية أن ينسى أويسهو الله–تعالى–عن ذلك علواكبيراً– فإن ذلك التدوين لكى تتلقاه الملائكة كأوامر تقوم بتنفيذها واتمامها بإذن ربها .وفي ذلك يقول الله :"فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا "(الذاريات٤) وكذلك يقول الله :"فالمدبرات أمرا" وقيل أن يظهر للملائكة كونه تعالى عالماً بجميع المعلومات على سبيل التفصيل (مفاتيح الغيب المجلد التاسع ص٢٦٥)

قوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[2]

وقال الرسول (ﷺ) "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة. قال وعرشه على الماء[3] وكذلك ما رواه أبوداود في سننه عن أبي حفصه الشامي قال: قال عبادة بن الصامت لابنه يابني أنك لم تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: " إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له: اكتب ، قال: رب وماذا أكتب؟ قال: أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة يا بني إني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: "من مات على غير هذا فليس مني"[4]

وعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قالت أم حبيبه زوج النبي (ﷺ) : اللهم أمتعني بزوجي رسول الله (ﷺ) وبأبي ، أبي سفيان ، وبأخي ، معاوية قال: فقال النبي (ﷺ) : "قد

---

١) الحديد :٢٢

٢) النمل :٧٥

٣) أخرجة مسلم في كتاب القدر،باب حجاج آدم وموسى-عليهما السلام-رقم٢٦٥٣(والمراد: هو تحديد وقت الكتابة وليس أصل القدر فهو أزلي)

٤) أخرجه أبوداود في كتاب السنة، باب في القدررقم (٤٧٠٠)والترمذي كتاب تفسيرالقرآن، باب ومن سورة :"ن والقلم ومايسطرون"(٣٣١٩)وقال:"هذا حديث حسن صحيح غريب"وصححه الشيخ ناصر في صحيح الترمذي (٢٦٤٥) وقال:إسناده حسن، وأحمد في المسند (٣١٧١٥) والحديث صحيح بشواهده

سألت الله لأجال مضروبة ، وأيام معدودة ، وفي لفظ: "وآثار موطوءة" وأرزاق مقسومة لن يعجل شيئاً قبل حله أو يؤخر شيئاً عن حله"[١]

وقال النووى- رحمه الله - "وهذا الحديث صريح في أن الآجال والأرزاق مقـدرة لا تتغير عما قدره الله تعالى وعلمه في الأزل ، فيستحيل زيادهما ونقصانها حقيقة عن ذلك "[٢] وروى عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله (ﷺ) : "لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صفحتها ولتنكح ، فإن لها ما قدر لها [٣] وقيل هذا الحديث من أحسن أحاديث القدر عند أهل العلم[٤]

التقدير الثانى: وهوأقل عمومية من سابقه: -

وهو خاص بالبشر: أرزاقهم وآجالهم وأفعالهم ومصائرهم في الآخرة ودليل ذلك قول رسول الله (ﷺ) فيما يرويه علىﷺ قال: "كنا في جنازة في بقيع الغرقد ، فأتانا رسـول الله (ﷺ) فقعد وقعدنا حوله ، ومعه مخصرة فنكس ، فجعل ينكت بمخصرته ثم قال: "ما مـنكم من أحد ، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتبـت شقية أو سعيدة"[٥]

---

١) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب بيان آن الآجال والأرزاق وغيرها لاتزيد ولاتنقص عما سبق بـه القدر(٢٦٦٣).

٢) مسلم بشرح النووى (٤٦٦/٨) ط الحديث

٣) أخرجه البخارى في كتاب القدر، باب وكان أمرالله قدراً مقدورا(٦٦٠١) وفي النكاح (٥١٥٢)

٤) قول ابن عبدالبر-رحمه الله- في فتح البارى (٥٨١/١١)ط الحديث

٥) أخرجه البخارى في كتاب الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبروقعود أصحابه حوله(١٣٦٢) ومسلم في كتاب القدر، باب كيفيه خلق الآدمى في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشـقاوته وسـعادته (٢٦٤٧)

وعن عبدالله بن قتادة السلمى ﷺ قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: "إن الله ﷻ خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره وقال: هؤلاء في الجنة ولا أبالى وهؤلاء في النار ولا أبالى "قال: فقال قائل: يا رسول الله ، فعلى ماذا نعمل؟ قال: "على مواقع القدر"[(١)]

التقدير الثالث: -

خاص بتقدير أفعال العباد وذلك قبل خلق آدم بأربعين سنة ، ودليل ذلك قول الرسول(ﷺ) فيما يرويه عنه أبو هريرة قال: قال رسول الله(ﷺ) "احتج آدم وموسى – عليهما السلام – عند ربهما ، فحج أدم موسى ، قال موسى: أنت آدم الذى خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، واسجد لك ملائكته ، وأسكنك في جنته ، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض؟ فقال آدم: أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجياً فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى: بأربعين عاماً قال آدم: فهل وجدت فيها: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [(٢)] قال: نعم قال: أفتلو منى على أن عملت عملاً كتبه الله على أن أعمله قبل أن يخلقنى بأربعين سنه؟" قال رسول الله (ﷺ) : "فحج آدم موسى"[(٣)] فهذا التدوين خاص بتجارب الابتلاءات التي يجتازها الناس في حياتهم ونتيجة اختياراتهم ، وهى مدونه قبل خلق الإنسان بأربعين سنة.

---

١) مسند أحمد بن حنبل ، مسند العشرة المبشرين بالجنة رقم الحديث(١٧٣١٨) ،صحيح ابن حبان ، كتاب البروالإحسان ، باب ماجاء في الطاعات وثوابها رقم الحديث (٣٤٣)، والألبانى في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم الحديث (٤٨) جـ١

٢) طه:١٢١

٣)أخرجه البخارى في كتاب :أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعدرقم(٣٤٠٩)ومسلم في كتاب القدر، باب حجاج آدم موسى رقم (٢٦٥٢)واللفظ له (وقداشتبه هذا الحديث على كثيرمن الفرق، فمنهم من رده وزعم أنه باطل؛لأن مداره على الطعن في الأمروالنهى والنبوات وغيرذلك وهؤلاء هم المعتزلة وقد رد عليهم بأن الحديث صحيح وليس أسلوب فهمه على ماذهبوا إليه (انظر:المطالب العالية من العلم الإلهى لفخرالدين الرازى ٢١٧/٩، وذهب الجهمية الجبرية إلى الاستدلال به على صحة الاحتجاج بالقدرعلى المعصية والذنوب (انظر:لوامع الأنوارالبهيه :للعلامة محمد السفارينى ٣٤٦/١، والفهم الصحيح لاحتجاج آدم هو أن آدم احتج بالقدرعلى المصيبة و لم يحتج بالقدرعلى المعصية ويؤكد ذلك ابن القيم في شفاء العليل ص ٢٩ وإن كنت أرى أن ماورد قد يكون من قبيل الخاص بهما)

التقدير الرابع: -

خاص بتدوين أخص التقديرات للإنسان الفرد، حيث يتم وهو بعد جنين في بطن أمه، وفيه يدون رزقه وأجله وعمله ويسجل مصيره شقياً كان أم سعيدا قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [١] ودليل ذلك - أيضاً - قول الرسول (ﷺ) عن عبدالله بن مسعود قال حدثنا رسول الله (ﷺ) وهو الصادق المصدوق قال: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون في ذلك علقه مثل ذلك ، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد فوالذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها"[٢] وفي الصحيحين من حديث أنس أن النبى(ﷺ) قال: "إن الله ﷻ وكل بالرحم ملكاً، يقول: يارب نطفة، يارب علقة يارب مضغة فإذا أراد أن يقضى خلقه قال: أذكر أم أنثى؟ شقى أم سعيد ؟فما الرزق والأجل ؟ فيكتب في بطن أمه"[٣].

---

١) فاطر:١١

٢) أخرجه البخارى في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة رقم(٣٢٠٨)ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية الخلق للآدمى في بطن أمه، وكتابة رزقه وآجله وعمله (٢٦٤٣)

٣) أخرجه البخارى في كتاب القدرباب (١)رقم(٦٥٩٥)وانظر:(٣١٨)ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية الخلق للآدمى في بطن أمه وكتابه رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته رقم(٢٦٤٦).

التقدير الخامس:-

وهو تدوين سنوى للمقادير: وذلك بنسخ مقادير العام القادم من أم الكتاب ليلة القدر وفي ذلك يقول الله سبحانه:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ [١] وقال ابن عباس ﷺ"يكتب في أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحجاج يقال: يحج فلان وفلان " وقال مقاتل: "يقدر الله تعالى في ليله القدر أمر السنة في أرضه وفي عباده إلى السنة القابلة"[٢]

التقدير السادس والأخير للقدر: -

التقدير اليومى، وهو تدوين ونسخ مقادير وأحوال اليوم من سجلات أحوال السنة ودليل ذلك قول الحق سبحانه:﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾ [٣] وقد روى ابن جرير بسند حسن عن منيب بن عبدالله بن منيب الأزدى عن أبيه قال: قرأ رسول الله (ﷺ) هذه الآية:﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ فقلنا: يا رسول الله، وما ذاك الشأن؟ قال(ﷺ) : "أن يغفر ذنبا ، ويفرج كربا ، ويرفع قوما ، ويضع آخرين"[٤] وقد ذكر البغوى[٥] في بيان قول المفسرين بأن هذه التدوينات المتعددة المنتهية بالتقدير اليومى – كما ذكرنا – ينظر فيه

---

١) الدخان :٣-٥

٢) راجع هذه الأقوال في شفاء العليل لابن القيم ص٤٩

٣) الرحمن:٢٩

٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره(٧٩/٢٧)وابن كثير في تفسيرالقرآن العظيم (٢٧٣/٤) وصححه الشيخ الألباني في "ظلال الجنة"(٣٠١).، وابن حبان (٦٨٩)خلاصة حكم المحدث: أخرجه في صحيحه (وفي ذلك قال سبحانه:" قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (آل عمران:٢٦)

٥) هوأبومحمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء البغوى الملقب ظهيرالدين الفقيه الشافعي المحدث المفسر، كان بحرا في العلوم، صنف كتبا كثيرة منها تفسيرة المعروف بمعالم التتريل، وشرح السنة توفي سنة ٥١٠هـ (انظر:وفيات الأعيان ١٣٦/٢ـــــ١٣٧)

الله – سبحانه – فيمحو منه ما يريد ويثبت منه ما يشاء ، والمحو والإثبات بناء على ما يرفع إليه – سبحانه – من أعمال العباد الصالحة أو معاصيهم أو أدعيتهم أو غفلتهم عن ذكره ، وهذا لا يعنى نفي حتمية القدر، ولا يعنى نسبة التغيير في المشيئة ، أو نسبة النقص إلى العلم الإلهى ؛ وذلك لأن ما حدث من تبديل أو محو أو تخفيف وتلطيف في القضاء والقدر إنما هو مسجل عند الله في أم الكتاب المسجل فيه كل مقادير السماوات السبع والأرض – كما ذكرت سابقاً – فقد سجل في أم الكتاب أن العبد سيدعو ربه ، وأن الله – سبحانه – سيستجيب له ، ويمحو من قضائه أو يلطف ، ومن ثم يكون هذا نابعاً – أيضاً– وموافقاً لعلم الله الأزلى الذى سجله بالقلم قبل خلق السماوات والأرض في أم الكتاب الذى لا يحيط بما فيه إلا هو سبحانه[1] ، وهذا تحقيقاً للمعنى في قوله: "يمحو الله ما يشاء وعنده أم الكتاب" كما أن هذا المحو والإثبات يثبت – أيضاً – الصلة – التي ذكرها سابقاً – بين الله سبحانه وبين خلقه.

وبناء على ما سبق: من أدلة قرآنية وسنية ، فضلاً عن العقلية بما تحمل من تفسير وتبيان قوى للعلاقة الفعالة بين الخلق وخالقهم سبحانه وتعالى ، وما ذهب إليه – أهل السنة – من توضيح لمسألة المحو والإثبات وبيان ما يقع عليه هذا المحو والإثبات، فضلاً عن أحوال التدوين وتنوعها التي استقوها من مغزى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشارحة والمفسرة لها ، من جراء هذا يتضح معتقد أهل السنة وما رمت إليه في شأن الدعاء ومدى فاعليته مع القضاء

وهذا ما جعل ابن القيم يقول: "الدعاء من أنفع الأدوية ، وهو عدو البلاء يدفعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه أن يخففه إذا نزل وهو سلاح المؤمن"[2] وإلى هذا المعنى سبق

---

١) معالم التنزيل جـ٣ص٢٢ـ٢٣

٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ٢٨، يراجع في ذلك مذكرات التوحيد لفضيلة الشيخ حسين عبدالرحيم مكى ص٣٥

الإمام الغزالى – رحمه الله – فقال: فإن من القضاء رد البلاء بالدعاء ، فالدعاء سبب لـــرد البلاء واستجلاب الرحمة ، كما أن الترس سبب لرد السهم ، والماء سبب لخروج النبــات من الأرض ؛ فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان ، فكذلك الدعاء والبلاء يتعاجان وقد قال تعالى:﴿ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ (١) وليس من شروط الاعتراف بقضاء الله ألا يحمل الســلاح، وأن لا يسقى الأرض بعد بث البذور، فيقال إن سبق القضاء بالنبات أنبت البــذر، وإن لم يسبق لم ينبت، بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول، الذى هو كلمح البصــر أو هو أقرب، وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقــدير هــو القدر، والذى قدر الخير قدره بسبب، والذى قدر الشرقدر لدفعه سبباً، فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته(٢)

فكما وضح "الإمام الغزالى" أنه لا تناقض اطلاقاً بين الدعاء وبين القضاء والقدر؛ لأن الدعاء ما هو إلا سبب من الأسباب المقدرة سابقاً في علم الله الأزلى أنه تقضى ببركتها أمور ، وتتحقق آمال ، وتدفع كروب ، وإن مثل الدعاء كمثل الدواء ، فكمــا أنــه لا يصــح للمريض أن يترك التداوى إتكالاً على ما كتبه الله عليه سيحدث سواء تنــاول الــدواء أو تركه ، فكذلك لا يصح للمسلم أن يهجر الدعاء اعتمادا على أن ما قدر فسوف يكون ، لأن العاقل هو الذى يتعاطى الأسباب بعزم ثم بعد ذلك يترك النتائج لله الواحد القهار.

وهذا ما دعا العلامة محمد رشيد رضا إلى عدم الوقوف – فقط – عند حــدود نفــع الدعاء بل توسع في الأمر إلى بيان أنواع للدعاء، مما يدل على قناعه تامة بنفعية الــدعاء ، حيث نراه قد ذهب إلى تقسيم الدعاء إلى نوعين:-

---

١) النساء:١٠٢

٢) احياء علوم الدين جــ١ـــ ص ٣٣٦، انظرأيضاً اتحاف السادة المتقين للزبيدى ٣٩/٥

القسم الأول اضطرارى وهو الالتجاء إلى القوة الغيبية عند تقطع الأسباب بالإنسان وسد منافذ الرجاء بالسعى ، وهذا الفرع من الدعاء – كما يقول – هو ميزان الإيمان ومعيار التوحيد الخالص ، وأن هذا الدعاء أثرمن آثار الإيمان بقوة وراء الطبيعة وهذا الأثر هو روح العبادة ، وأكبر مظاهرها.

أما القسم الثانى من الدعاء فهو الاختيارى ، وهو من الأعمال التي تزيد في الإيمان ، وتمده وتدعمه كسائر العبادات المطلوبة ، ولولا ذلك لما كان للتكليف به معنى ، وهذا النوع هو أحد خصال الإيمان ، وهذا هو الدعاء المطلوب شرعاً. وانتهى به الأمر إلى القول: بأن استجابه هذا الدعاء ليست من الخوارق الحقيقية ، ولكنها من التوفيق الإلهى والعناية الربانية[1]

وهذا ما حمل عمر بن الخطابﷺ يقول: إنى لا أحمل هم الإجابة ، ولكن أحمل هم الدعاء ، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه"[2] فعمر بن الخطاب هنا يوضح لنا بأن الإشكال ليس في الاستجابة ، وإنما في أن يلهمه الله – تعالى – ويوفقه إلى الاهتداء لتفعيل هذا السبب – الدعاء – فإذا وفق فإن الإجابة – بإذن الله – مضمونة [3]

وإتماماً للفائدة: فنختم معتقد أهل السنة والجماعة بالقول: "إن الدعاء له أركان وأجنحة وأسباب وأوقات ، فإن صادف أركانه قوى ، ومن أركانه الاضطرار، وإن صادف أجنحته

١) مجلة المنار، المقالة السابعة عشرة في أنواع الخوارق وضروب التعليل والتأويل النوع الحادى عشر:استجابة الدعاء٦/٤٠٦

٢) رواه أبونعيم في الحليه ٤١/٤عن وهب بن منبه .

٣) وتكون بإحدى الطرق الثلا ث:إما أن تعجل له دعوته، وإما أن تدخرله في الآخرة، وإما أن تدفع عنه من السوء مثلها وذلك تحقيقاً لقول الرسول (ﷺ)"مامن رجل يدعوالله الا استجاب له، فإما أن يعجل له في الدنيا، وإما أن يدخرله في الآخرة وأما أن يكفرعنه من ذنوبه بقدر مادعا، مالم يدع بإثم أوقطيعة رحم أو يستعجل "سنن الترمذى٣٦٧٧ " (انظر:تنبيه العافلين للسمرقندى ص٢٧٣)

طارق السماء ، وأجنحته قوة الصدق مع المولى سبحانه فيما يرجوه ويؤمله منه ، وإن صادف أسبابه نجح ، وأسبابه الصلاة على النبى(ﷺ) وإن صادف أوقاته فاز وأوقاته السحر"[١]

المطلب الثانى : المخالفون لأهل السنة والرد عليهم

أولاً : المعتزلة ومعظم الفلاسفة : -

ذهب المعتزلة وكثير من الفلاسفة[٢] إلى أنه لا ينفع مع القدر شيء لا دعاء ولا توكل ، سوى أنها عبادات محضة لا تأثير لها. فالاشتغال بالدعاء هو باب من أبواب التعبد المحض يثيب الله عليه الداعى ، من غير أن يكون له تأثير في المطلوب بوجه ما ، ولا فرق لديهم

---

١) المدخل لابن الحاج جـ٣ ص١٣٠"مواطن اجابة الدعاء" (انظرتفصيل الأمرفي أسباب الدعاء وأركانه وشروطه وأوقاته من كتاب الدعاء مفتاح السعادة في الدنيا والآخرة د/محمدمحمودأحمد، د/موسى الخطيب، وانظرأيضاًفضائل الذكروالدعاء لابن القيم ص١١٦ومابعدها.

٢) وقد يظن البعض أن ابن سينا قد خالف المنهج العام للفلاسفة عندما اعترض على من قال :أن الدعاء عبث إذ قد قدرالله كل شيء فقال "لا لأن البارى هوالذى جعل سبب وجود ذلك الشيء الدعاء، كما جعل سبب صحة هذا المريض شرب الدواء .... ويصيردعاؤنا سبباً للإجابة ....وإذا لم يستجب الدعاء لذلك الرجل، فالسبب فيه أن الغاية النافعة إنما تكون بحسب نظام الكل لابحسب مراد ذلك الرجل. والنفس الزكية عند الدعاء قد تفيض عليها من الأول قوة تصيرها مؤثرة في العناصرفتطاوعها العناصرمتصرفة على إرادتها فيكون ذلك إجابة للدعاء"(التعليقات لابن سينا ص٤٧ـــ ٤٨)ولكن المتأمل في عباراته هذه يلاحظ بأنه يساير قول الفلاسفة، و لم يخرج عن منهجهم قيد أنملة، حيث نجده في نهاية العبارة قدأرجع الأمربرمته إلى المنفعة الكلية في الكون، وإلى وجود خاصية في النفس الزكية هى التي أثرت في العناصروذلك هوبعينه منهج الفلاسفة القائلين بكسبية المعجزات والنبوة وبالمنفعة الحتمية.

بين الدعاء والإمساك عنه بالقلب واللسان في التأثير في حصول المطلوب ، وارتباط الدعاء عندهم كارتباط السكوت ولا فرق[1]

– وكان اشتباههم في عدم فهم القدر فهماً صحيحاً يتضح بقولهم: "لأن الدعاء به يتضمن الشك في وقوعه ، لأن الداعى بين الخوف والرجاء ، والشك في وقوع ذلك شك في خبر الله[2]

من الواضح أن معتقد المعتزلة والفلاسفة مبناه على فكرهم ومعتقدهم في نظريتهم القائمة على السببية في الأشياء الطبيعية ، وقولهم بتأثير الأسباب بعضها في بعض ، والذهاب إلى ما هو أبعد وأخطر من ذلك وهى كونها تعمل مستقلة عن الله وغير خاضعة لإرادته ، ولا يستطيع – سبحانه – تغييرها[3] ، ومن هنا كان تورطهم في القول بأن الإنسان خالق فعل نفسه وخاصة الجور والمعاصى والشرور وماشابها[4] .وتعللهم ذلك بأن خلاف هذا يؤدى إلى الطعن في جانب التكليف المتمثل بإرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، ونسبة العبث المنافي لتمام الحكمة والعدل لله تعالى. فكان من الطبيعى – بناء على معتقدهم هذا – إنكارهم لتأثير الدعاء في القدر باعتباره أنه أمر يعطل نظرية الأخذ بالأسباب ، ويعطل التوكل ، فضلاً أنه – على حد معتقدهم – فعل إنسانى لا علاقة لله – سبحانه – به وغير خاضع لإرادته.

---

١) انظر: شرح الأصول الخمسة ص٧١٩(وذلك بناء على إحدى أصولهم الخمسة"الوعد والوعيد"وما تمسكوا به من قوله تعالى "مايبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد"ق:٢٩(شرح الأصول الخمسة ص١٣٦) وتحقيقاً لأصل العدل لديهم (المرجع السابق ص٣٠١ ومابعدها)

٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

٣) راجع في ذلك الحقيقة الثانية في المبحث الثانى قول المعتزلة والردعليه

٤) راجع في ذلك الحقيقة الثالثة في المبحث الثانى قول المعتزلة والردعليه



وغنى عن البيان الرد عليهم في هذا الأمر، فمن وقف على حقيقة الأسباب وربطها بمسبباتها. وعلم أنه لا عمل لها ولا تأثير بذاتها بل بما أودع الله – تعالى – فيها من القوى الموجبة ، وبعد مشيئته ، ووقف – أيضاً – على حقيقة مشكلة أفعال العباد واستطاع أن يفرق بين قدر الله الذى هو فعله وبين مقدوره الذى هو مفعوله ، لاستطاع أن يهتدى بسهولة إلى أن الدعاء ما هو إلا سبب من الأسباب قدرها الله سابقاً في علمه الأزلى للعباد لتكون عونا لهم في حياتهم الدنيوية ، وأنه على الرغم من كونه فعل العبد إلا أنه بتوفيق وإلهام من الله – تعالى – كما رأينا من خلال معالجتنا لنقاط البحث السابقة[1]

ثانياً الجبرية :-

وهم الذين تركوا الدعاء جملة ، وبنوا تركهم على أن سبق القدر بالسعادة والشقاوة لا يتبدل ولا يتحول عمل أولم يعمل ، كذلك المدعو إن سبق العلم والحكم بحصوله حصل ، دعونا أو لم ندع ، وإن سبقا بعدم حصوله لم يحصل وإن دعونا. وذلك بناء على معتقدهم الخاطيء في الفعل الإنسانى بأنه بلا قدرة أو استطاعة أو إرادة ، وإنما يخلق الله – تعالى – الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات. ولاشك أن هؤلاء بنوا ما بنوه على فهم فاسد مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف وأئمة الدين ، ومخالف لصريح العقل والحس والمشاهدة[2]

---

١) راجع المطلب الأول من المبحث الثالث: عيقد ة أهل السنة والجماعة في علاقة الدعاء بالقضاء

٢) انظر:شرح العقيدة الطحاوية لأبى العزالحنفي ص٢٢١، وشفاء العليل ص١٠٩، ١١٠(ويكفي في الرد عليهم سرد أدلة المعتزلة على مذهبهم، حيث تنقضى أدلتهم لأنهم بنوا مذهبهم على إثبات الفعل والمشيئة للعبد، واتوا بالعديد من الآيات القرآنية التي تثبت ذلك (راجع الكهف:٢٩، والفرقان :٢٧، المدثر:٣٦ـــ٣٧، الشمس:٧ــــ ١٠، البلد : ١٠......) راجع في ذلك :المبحث الثانى من البحث معتقد الجبرية في أفعال العباد.

ثالثاً: غلاة الصوفية: -

عندما سوغ لغلاة الصوفية التشدق بمذهب الجبر، ونسبة القبيح إلى الله – تعالى – واستحسانه لذلك، والجهر بعذر الخلائق طائعهم وفاجرهم ؛ لأنهم مظاهر لأفعال الله [١] كان هذا مؤداه إلى القول بعدم فائدة الدعاء إلا في إظهار الفاقة بين يديه[٢] ، كما طلب من احدهم أن يدعوا فقال: أخشى إن دعوت يقال لى: إن سألتنا مالك عندنا فقد اهمتنا ، وإن سألتنا ما ليس لك عندنا فقد أسأت الثناء علينا ، وإن رضيت أجرينا لك من الأمور ما قضينا لك في الدهور.[٣]

كما كان قولهم: "لا يكن تأخر أمر العطاء مع الالحاح في الدعاء موجباً ليأسك فهو ضمن لك الإجابة فيما يختار لك لا فيما تختار لنفسك ، وفي الوقت الذى يريد لا في الوقت الذى تريد ، واعلم أن من أسمائه – تعالى – القيوم ، وهو مبالغة في القيام ، فقد قام تعالى بأمر خلقه من عرشه إلى فرشه ، وعين لكل مظهر وقتا محدودا وأجلاً معلوماً ، ولكل واحد شكلاً معلوما ورزقاً مقسوماً ، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ، فإذا تعلق قلبك بحاجة من حوائج الدنيا والآخرة فارجع إلى وعد الله واقنع بعلم الله ولا تحرص ، ففي الحرص تعب ومذله....وإن كان ولابد من الدعاء فليكن دعاؤك عبودية لاطلباً للحظ ، فإن تركت الحظوظ صبت عليك الحظوظ "[٤] كما ذكر الإمام القشيرى[٥] كلاما

---

١) وهومالا يعبرعن الاتجاه العام في فكرأوسلوك أئمة المذهب بل هو قاصر على المغالين منهم .

٢) انظرالرسالة القشيرية ص٢٦٩

٣) نفس المرجع السابق والصفحة

٤) ايقاظ الهمم شرح متن الحكم لابن عجيبة ص٢٣

٥) أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري، الخراساني، النيسابوري، الشافعي، الصوفي، المفسر، صاحب " الرسالة ولد سنة ٣٧٥ هـ توفي يوم الأحد سنة ٤٦٥هـ (سير أعلام النبلاء – الطبقة الرابعة والعشرون جـ ١٨ص٢٢٧)

واضحا في الرد على هذا السؤال: "أيهما أولى الدعاء أم الاستسلام للقضاء حيث قال: الأولى أن يقال الأوقات مختلفة. ففي بعض الأحوال السكوت أفضل من الدعاء وهو الأدب ، وفي بعض الأحوال الدعاء أفضل من السكوت وهو الأدب ، وإنما يعرف ذلك بالوقت فإذا وجد في قلبه إشارة إلى الدعاء فالدعاء أولى به ، وإذا وجد إشارة إلى السكوت فالسكوت أتم وإلا فالدعاء وتركه هاهنا سيان.. ثم قال: ويصح أن يقال ما كان للمسلمين فيه نصيب أو لله – سبحانه وتعالى –فيه حق فالدعاء أولى ، لكونه عبادة وإن كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتم" [١]

وقالوا بهذا ؛ لأن الخير المتعدى أولى من الخير القاصر على واحد. واستدلوا بحديث النبي(ﷺ) عن أنس بن مالك – ﷺ– قال: "عجباً لأمر المؤمن لا يقضى الله له شيئاً إلا كان خيراً له"[٢]

– كما أن قولهم عن المشيئة الإلهية: إما أن تقتضى المطلوب أو لا ، فثم قسم ثالث وهو أن تقتضية بشرط لا تقتضيه مع عدمه ، وقد يكون الدعاء من شرطه ، كما توجب الثواب مع العمل الصالح ولا توجبه مع عدمه. فإذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال لا فائدة في الدعاء كما لا يقال لا فائدة في الأكل والشرب وسائر الأسباب[٣] ، ويجب أن يفهم هنا أن الذى حرك العبد إلى دعائه هو الله ، فهذا الخير منه وتمامه عليه[٤]

---

١) الرسالة القشيرية ص٢٦٥، والفتوحات الربانية على الأذكارالنووية ٧/٢٣٥لابن حجرالعسقلانى
٢) رواه أحمد في مسنده ، مسند العشرة المبشرين بالجنة ، باقى مسند المكثرين من الصحابة رقم الحديث (١١٩٣٦) حديث مرفوع ، وصححه الشيخ ناصر– رحمه الله – في الأحاديث الصحيحة(١٤٨).
٣) انظر:الداء والدواء لابن القيم ص٢٧
٤) العقيدة الطحاوية ص٧٠

وخير ما يختتم به في الرد على غلاة الصوفية :-

قول النبى (ﷺ) : "احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل ؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان"[١] فأمره بالحرص على ما ينفعه، والاستعانه بالله ونهاه عن العجز الذى هو الاتكال على القدر، ثم أمره إذا أصابه شيء آلا ييأس على مافاته بل ينظر إلى القدر، ويسلم الأمر لله ؛ فإنه هنا لا يقدر على غير ذلك كما قال بعض العقلاء: الأمور أمران: أمر فيه حيلة ، وأمر لا حيلة فيه فما فيه حيلة لا يعجز عنه ، وما لا حيلة فيه لا يجزع منه [٢]

وفي نهاية الأمر فلنذكرهم بأن القائل: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنه "[٣] هو الذى قال: "اعملوا فكل ميسر لما خلق له"[٤] فما حالكم :﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [٥] .

---

١) رواه مسلم في صحيحه(كتاب القدر)-٤٦-باب(٨)في الأمربالقوة وترك العجزوالاستعانه بالله وتفويض المقاديرلله (٢٠٥٢/٤)

٢) مجموع فتاوى ٨/٢٨٤-٢٨٥

٣) رواه مسلم في صحيحه،كتاب القدر،باب حجاج ادم وموسى عليهماالسلام رقم الحديث٤٨٠٣رقم الصفحة (٢٦٥٣)

٤) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمى في بطن أمه رقم الحديث (٤٧٩٥)

٥) البقرة:٨٥(انظرالمزيد من الردودعلى غلاه الصوفيه في الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلةالقدرية ص٥١-٥٣، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابونى ص٢٨٥-٢٨٦، ومنهاج السنة ٣/٢٠٣- ٢٠٩ والاستقامة ٢/٧٣-٧٦، ومدارج السالكين ١/٢٦٨ـــ٢٦٩)

رابعاً : الشيعة :-

ذهبت الشيعة إلى أن هناك العديد من الآيات بها تصريحات بأن الإنسان هو الذى يستطيع أن يغير مصيره بصالح أعماله وطالحها ، وأن التقدير الأول نجم عن سبب في حياة العبد ليس تقديرا قطعياً لا يغير، بل هو تقدير معلق سيتغير إذا تغير سببه وذلك تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [1] وقوله تعالى:﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [2] فهذه الآيات– تبعاً لمعتقد الشيعة– تعرب عن أن الأعمال الصالحة مؤثرة في مصير الإنسان، وأنه يقدر بعمله الصالح على تغيير التقدير وتبديل القضاء غير المبرم، لأنه ليس في أفعال الإنسان الاختيارية مقدر محتوم حتى يكون العبد في مقابله مكتوف الأيد[3]

– كما كان معتقدهم إن أئمة أهل البيت– عليهم السلام– قد أوردوا أن الصدقة والاستغفار والدعاء وما شابه ذلك يغير التقدير. وما هذا إلا لأن التقدير لم يكن تقديرا قطعياً، بل تقديراً معلقاً على عدم الإتيان بصالح الأعمال أو بطالحها ، فإذا وجد المعلق عليه يتبدل التقدير بتقدير آخر، كل ذلك بعلم ومشيئة منه سبحانه ، وذلك على اعتبار أن تقدير العباد على قسمين – كما ذهبت أهل السنة – تقدير قطعى لا يقبل المحو والتغيير

---

١) الأعراف :٩٦

٢) نوح :١٠: ١٢

٣) انظر:الدعاءحقيقته آدابه آثاره للأستاذ على موسى الكعبى ص ٧: ٨

وذلك كالسنن القطعية التي لا تتبدل ولا تتحول[١]، وتقدير معلق غير قطعي مشروط بشروط أو أسباب[٢].

إذن: كان معتقدهم أن الدعاء يرد القضاء ويصرف البلاء المقدر[٣] بناء على كونه من أجزاء القضاء والقدر ومن أجزاء الحكمة الإلهية. وكان من ضمن الروايات العديدة التي أوردوها في هذا المقام استدلالا على تمكن الإنسان من تغيير مصيره منها:- أخرج الحاكم عن ابن عباس قال: لا ينفع الحذر عن القدر ولكن الله يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر"[٤]

وروى الكليني بسنده عن حماد بن عثمان عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سمعته يقول: "إن الدعاء يرد القضاء ينقضه كما ينقض السلك وقد أبرم إبراما"[٥]

وقال الإمام أبو الحسن موسى الكاظم[٦] : "عليكم بالدعاء فإن الدعاء لله والطلب إلى الله يرد البلاء وقد قدر وقضى ولم يبق إلا إمضاؤه، فإذا دعى الله- عز وجل- وسئل صرف البلاء صرفه"[٧]

---

١) كقوله تعالى:" إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ(الزمر: ٣٠)
٢)راجع في ذلك:الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف للعلامة الشيخ جعفرالسبحاني المجلدالثالث القضاء والقدر
٣) وذلك تبعاًلمعتقدهم في أفعال العباد كما في المبحث الثاني
٤) الدرالمنثورللسيوطي جـ٤ص٦٦١
٥) الكافي جـ٢ص١٦٩باب إن الدعاء يرد القضاء الحديث (١)
٦) موسى بن جعفر الكاظم (١٢٨هـ-:١٨٣هـ)أحد أعلام المسلمين، والإمام السابع عند الشيعة الإثنا عشرية، والده هو الإمام جعفر بن محمد الصادق أحد فقهاء الإسلام، قضى جزءاً من حياته في السجن، وعاصر فترة حساسة من تاريخ المسلمين. كنيته أبو إبراهيم وأبو الحسن، ومن ألقابه: الكاظم والعبد الصالح وباب الحوائج وسيد بغداد.(سير أعلام النبلاء الطبقة الخامسة جـ٦ ص ٢٧١)
٧) الكافي جـ٢ص٤٦٩/٧وص٤٦٨/٤وص٤٧٠/٦وص٤٧٠/٨باب إن الدعاءيردالبلاء(٨)

وقال الإمام زين العابدين[١] : "الدعاء يدفع البلاء النازل ومالم يترل "[٢] وعنـه(ﷺ) : "إن الحذر لا ينجى من القدر، ولكن ينجى من القدر الدعاء "[٣]

وقال الإمام الصادق[٤]: "ادع ولا تقل إن الأمر قد فرغ منه ، إن عند الله ﷻ مترلـه لا تنال إلا بمسألة "[٥] وأحاديث هذا الباب كثيرة – على حد زعمهم – جميعهـا تؤكـد معتقدهم في فاعلية الدعاء مع القضاء[٦]

وبناء على معتقدهم السابق كان جوابهم عن هذا السؤال إن تغيير مصـير الإنسـان بالدعاء وغيره من أعمال البر يقتضى التغيير فيما قدره الله تعالى في علمه الأزلى وذلك يعنى تغيير علمه الأزلى ، وهو محال فكيف هذا؟ فقالوا إن الله عالم بمصير الأشياء كلها غابرهـا وحاضرها ومستقبلها، استدلالا بقوله تعالى:"﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [٧] وقال الإمام موسى بن جعفر الكاظم "لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء ، كعلمه بالأشياء بعدما خلق الأشياء"[٨] وإن لعلمه – تعالى – مظاهر عبر عنها في الكتاب الكريم ،

---

١) هو: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ولد في المدينة ٣٨هـ، اشتهر بزين العابدين وهو الإمام الرابع لدى الشيعة بكل طوائفهم وله عدة ألقاب منها ذو الثفنات وزين الصالحين ومنار القانتين، توفي في ٢٥ محـرم سنة ٩٥ للهجرة ودفن في البقيع إلى جانب قبر عمه الحسن بن علي عليهما السلام. (سيرة أعلام النبلاء: الطبقة الثانية الجزء الرابع، ص٣٨٧).

٢) الكافي ٢/٤٦٩/٧

٣) البحار:٩٣/٣٠٠/٣٧.كترالعمال:٣١٢٣

٤) هو: جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وُلد في المدينة المنورة سنة ٨٠ هـ، وتوفي سنة ١٤٨ هـ (سيرة اعلام النبلاء جـ٦ ص ٢٥٦)

٥) الكافي :٢/٤٦٦/٣وص٤٦٧/٧.

٦) راجع في ذلك :بحارالأنوارللمجلسى جـ٤ص١٣٠ دارالكتب الإسلامية، عدة الداعى ونجاح السـاعى ص١٣-١٤

٧) آل عمران :٥

٨) الكافي :٤/٨٣

منها أم الكتاب، وهذا المظهر يعبر عن علمه الأزلى المحيط بكل شيء والذى هو عين ذاته ، لا يتطرق إليه التغيير قال تعالى:﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ (١) والمظهر الآخر من علمه – تعالى – هو المعبر عنه بلوح المحو والإثبات ، ولله تعالى فيه المشيئة يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء حسب ما تقتضيه حال العباد من حسن الأفعال أو قبحها ، وفي هذا اللوح يكتب التقدير الأول ، ولكنه يعلق بتحقق شرطه أو زوال مانعه. وهذا التغيير لا يمس كامل علم الله – تعالى – والظهور بعد الخفاء هو بالنسبة لنا لا إلى علمه – تعالى – وذلك كالنسخ في التشريع(٢) .

وفي الحقيقة – قد يتوهم البعض انخداعا – أهم في تفسيرهم للعلم الإلهى قد يكونون على الصواب ، وأهم قد وافقوا فيه جمهور علماء المسلمين ، ولكن – في حقيقة – ما ذهبوا إليه من استدعائهم للأيات والأحاديث التي بها دلاله واضحة على تغيير القضاء المعلق وآثار الدعاء وغيره إنما هو لإثبات عقيدقم الباطلة وهو القول بالبداء(٣) على الله سبحانه

---

١) الزخرف :٤

٢) الدعاء حقيقته وآدابه وآثاره لموسى الكعبى ص١١٠باختصار، انظرأيضا الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف للشيخ جعفرالسبحانى المجلد الثالث القضاء والقدر(وفي الحقيقة أن هذا هو قول علماء الامامية(الآثنى عشرية)الذين يقولون بالبداء ويرون أنه لايناقض أزلية علم الله وإنما هو بمترلة النسخ في التشريع .(انظر:عقائدالإمامية للشيخ محمدرضا المظفرص٥١، وأوائل المقالات ص٥١للشيخ مفيد آل كاشف الغطاء أصل الشيعة وأصولها ص١٤٨ــــ١٤٩)وفي العموم فإن الإمامية قد أخذوا القول بالبداء عن الغلاة حيث اكد ذلك كامل مصطفي الشيبى "أن البداء عند معتدلى الشيعة من عقائد الغلاة الأولى وأخذها الشيعة المعتدلون وهذبوا حواشيها وقووها بالمنطق والكلام "الصله بين التصوف والتشيع ص١٠٤دار المعارف بمصرالطبعة الثانية .ودائرة المعارف الإسلامية مجلد ٣ ص٤٣٨ جولد زيهرمقالة عن البداء(إصدارأحمد الشنتناوى إبراهيم زكى خورشيد، عبدالحميد يونس

٣) جاء في لسان العرب بدأ الشيء أى ظهروالبداء استصواب شيءعلم بعد أن لم يعلم وذلك على الله غيرجائز(ابن منظورص٢٣٤ مادة بدا)ووردفي التعريفات أن "البداء ظهور الرأى بعد أن لم يكن، والبدائية هم الذين جوزوا البداء على الله تعالى (السيد الشريف الجرجانى ص٣٦)والشهرستانى يذكر أن البداء على الله له معان :البداء في العلم وهو أن يظهرله خلاف ماعلم .ويعقب على ذلك بقوله :ولاأظن عاقلاً يعتقد هذا الاعتقاد والبداءفي الإرادة وهوأن يظهرله صواب على خلاف ما أراد وحكم، والبداء في الأمروهو أن يأمربشيءثم يأمربشيء آخربعده بخلاف ذلك (الملل والنحل جـ١ص١٤٨ــــ١٤٩)

وهو قول غلاهم [١] وهذا ما أكده صاحب بحار الأنوار حين قال: "إن أئمة أهــل البيــت بالغوا في البداء رداً على اليهود الذين قالوا: "إن الله لما خلق الأشياء وقدر المقادير، تم الأمر وخرج زمام التصرف الجديد من يده بما حتمه من القضاء ، فلا نسخ ولا استجابه بالدعاء ؛ لأن الأمر مفروغ منه[٢] فغلاة الشيعة قد قالوا صراحة بالبــداء الــذى يغــاير إرادة الله والذى يستتبع جهل الله – سبحانه – بالأشياء قبل وقوعها وهذا هوما وقع عند اليهود[٣]

وانطلاقا من هذا كان الدعاء وغيره من الأعمال الإنسانية لا إشكال فيه – لــديهم – في أن يغير القضاء والقدر، مادامت إرادة الله – سبحانه – قابلة للتغيير، وقد أجازوا الجهل بالأشياء قبل وقوعها في حق الله تعالى؛ لذا آثرت ذكرهم ضمن المخــالفين لأهــل الســنة لجنوحهم بتلك العقيدة – في حد زعمهم – الضالة ، والاستناد عليها في فاعلية أمر الدعاء مع القضاء ، فعلى الرغم من صحة النتائج التي توصلوا إليها إلا أن المقدمات باطلة ، ممــا يؤكد استغلالهم لهذا الأمر لتحقيق مآربهم الخاصة في خدمة عقائدهم التي خالفوا بها إجمــاع المسلمين وأخرجتهم من الفهم الصحيح للدين .

---

١) وأول من قال بالبداء المختاربن أبي عبيد (الملل والنحل جـــ ١ص١٤٨ـــــ١٤٩)والبدائية مــن غــلاة الشيعة يذهبون مذهب هشام بن الحكم في القول بأن علم الله لايتعلق إلا بالموجود، وأنه لايعلم شيئاً حتى يكون، وهذا القول يستتبع الجهل بالأشياء قبل وقوعها والأخذ بهذا الرأى يفسح المجال للقول بأن علم الله يتأثربحدوث أشياء جديدة وأنه تعالى يغير إرادته (دائره المعارف الإسلامية مجلد٣ص٤٣٨ــــــ٤٣٩)

٢) المجلسى جــ٤ص١٣٠

٣) حيث ورد في سفرالتكوين "ورأى الرب أن شر الانسان قد كثرفي الأرض، وأن كل تصورأفكارقلبه إنما هوشريركل يوم فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه فقال الرب :أمحو عــن وجــه الأرض الإنسان الذى خلقته .الإنسان مع بهائم ودبابات وطيورالسماءحزنت أنى عملتهم "(الاصــحاح السادس ٧ــــــ٨) ولاشك أن تأسف الرب وحزنه على مافعل الانسان يعكس أنه – تعالى – ماكــان يعلم بما سيحدثه الإنسان؛ ولذلك فقد قرر الندم على هذا الخلق وأراد أن يمحوه وهو قول بالبداءالصريح – تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا– وبهذا النص وغيره قد اتضح الاقتباس والتأثرمن قبل غــلاة الشــيعة (راجع:الشيعة والسنة لإحسان إلهى ص٥٥)

وختاماً: القول الفصل في علاقة الدعاء بالقضاء

بعد الطواف السابق في طيات موضوع موقف الدعاء من القضاء ، ومروراً بمحطات عديدة كانت غاية في الأهمية ، بداية بتعريف الدعاء وسرد بعض الأدلة النصية – قرآنا وسنة – في كونه حقيقة ملموسة بل طلباً صريحاً من الحق – سبحانه – في الاستعانة به تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(١) والتحقق – كما رأينا – من كونه الوسيلة الروحية الفعالة لزمرة الأنبياء – صلوات الله عليهم أجمعين – والصالحين والأولياء والأتقياء ، وهذا ما وقفنا عليه حين الاستعانة بالنصوص ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر نجد في ازدواجية ربانية عقيدة القضاء والقدر الركن السادس في الإسلام المبنى على الرضا واليقين بما عند الله تعالى ، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد: ٢٢) تحقيقاً لقول خير الأنام (ﷺ) : "ياغلام إنى أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فأسال الله، وإذا أستعنت فأستعن بالله، وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"(٢)

وعلمنا جيدا – من خلال وقفات عديدة في البحث – أن من ضلت أفهامه عن استيعاب تلك الأدلة بطرفيها ظن خطأ وجود إشكالية عظيمة بين أمر الدعاء والقضاء ، وهذا ما حدث بالفعل من قبل بعض الفرق الإسلامية، حيث أرتأينا اشكالية عظيمة في فهم مدلولات الآيات القرآنية – خاصة – وتبعها أحاديث النبى (ﷺ) مما تولد عنه قضايا خلافية

---

(١) سورة:غافر: ٦٠

(٢) أخرجه الترمذى في كتاب صفة القيامة باب ٥٩رقم "٢٥١٦" وقال حسن صحيح

كبرى اسهمت – ليس بالقليل – فيما كان بين تلك الفرق مـن تنـاقض واخـتلاف في معالجتهم للقضايا ، وهذا ما ألجأنا إلى عرض تلك الحقائق أو القضايا باختصار غـير مخـل. وذلك كحقيقة علم الله – سبحانه – وإرادته وقدرته الذى وقع فيها الخلاف على أشده مما أدى ببعض الفرق الخروج عن جادة الحق حين نسبوا إلى الله – سبحانه – عدم تعلق علمه ببعض الأمور الحادثة ، بل أدى هم الأمر إلى القول بوجود أفعال خارجـة عـن إرادة الله وقدرته ، وذلك كما فعل بعض المعتزلة حينما تناولوا معالجة – على حد زعمهم – نظريـة السببية وأفعال العباد.. كما ظهر لنا على الساحة – أيضا – ما عرف بجبر غلاة الصـوفية الذى أفضى بنا إلى جعل الإنسان كالريشة في مهب الريح تحركها كيفما شاءت ، وساوت بين الطائع والعاصى وغير ذلك مما يترتب عليه من اسقاط أمر التكاليف وإرسال الرسـل وإنزال الكتب ، وهذا بطبيعة الحال ما يسمى إنكار معلوم من الدين بالضـرورة ، حيـث تضافرت الأدلة بأنواعها المتعددة على ثبوت تلك الحقائق الدينية واليقينية.

مما أوصلنا – أيضاً – إلى فريق آخر – كغلاة الشيعة – الذين استغلوا الأمـر خدمـة لإثبات عقيدهم الباطلة المنحولة ألا وهى عقيدة البداء ، فرأيناهم وإن كانوا قد تجاوبوا مع أهل الحق فيما وصلوا إليه في أمر الدعاء والقضاء إلا أن ذلك لم يكن عن قناعة بالأمر بـل مداهنة ، خدمة لآرائهم الخارجة عن الإسلام. والحق الذى لا يشوبه شك أن علـم الله – تعالى – علماً أزلياً مبنى على الإحاطة والانكشاف ، وهذا لا يعنى الجبر، فعلم الله لا يخفـي عليه شيء صغيراً كان أو كبيراً في الأرض أو في السماء ، وكتابة ذلك لايوجب اسـتغناء عما به يكون من الأسباب التي لا يتم إلا بها ، إذ هذا العلم ليس موجباً بنفسـه لوجـود المعلوم بل هو مطابق له على ما هو عليه ، وقد سبق في علمه هذا ما يعمله العباد من خـير وشر وطاعة ومعصية قبل خلقهم ، ومن هو منهم من أهل الجنة ، ومن هو منهم من أهـل النار وأعد لهم الثواب والعقاب جزاء لأعمالهم.

– كما تحقق الأمر في شأن الإرادة بأنها إرادة نافذة ومخصصة للأشياء بنوعيها الكونية منها والشرعية. وأنه لابد من التفريق بين نوعيها لكي يصبح الأمر واضحاً جلياً ويزال بعض الإشكاليات الظاهرية. وهذا لا يستلزم تعدد الإرادة ، ولكنها قد تكون كونية لكائن وابتلائية تشريعية لآخر.

– وبنفس المنهجية كان الانطلاق إلى صفة القدرة باعتبارها مكون من مكونات الإيمان بالقضاء والقدر. وإثبات قدرة مطلقة لله سبحانه ، ومعالجة قضية السببية بما يتناسب مع دلالات الآيات القرآنية ، وبما يوافق الفطرة السليمة والعقل والمشاهدة ، وهو أنه اقتضى عدله – سبحانه – وحكمته وعلمه أن يرتب خروج الأشياء على الأسباب ، فكلما أخذ الفرد بالسبب الذى يوجهنا الله إليه وربط ذلك بمشيئته – سبحانه – كلما وصل إلى مبتغاه ، وما الدعاء إلا سبباً من الأسباب التي سخرها الله – سبحانه – لعباده وأمرهم بالأخذ بها ، وكونها سنة الله في كونه التي لا تقبل التبديل أو التحويل.

فكما سخر الله للإنسان الأسباب المادية من المأكل والمشرب وغيرها لتستقيم حياته جعل الدعاء وما على شاكلته من الأسباب الروحية التي بها قوام نفسه وقلبه ، وهذه الأسباب المادية منها والروحية لا تعمل بنفسها بل بتوجيه وتوفيق من الله سبحانه لعباده أن يلهمهم الأخذ بها والاهتداء إليها ، وهذا هو الفارق بين المشرك الذى يأخذ بالأسباب فتعطيه نتائجها وبين المسلم الذى يأخذ بالأسباب ، ولكن لا يعلق قلبه بها بل بمسبب الأسباب تبارك وتعالى ، وهذه هى حقيقة التوكل المشار إليها في طيات البحث ، وهى التي تجسدت في عمل النبى(ﷺ) يوم الهجرة حيث أخذ بكل أسباب الحيطة والحذر للتوجه إلى المدينة بعيدا عن نظر المشركين، ولكن حينما انقطعت به الأسباب تدخلت – حينئذ – عناية مسبب الأسباب وهى معية الحفظ والنصر والتأييد والمدد تحقيقاً لقوله تعالى:﴿ إِلَّا

نَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا .."﴾(التوبة: ٤٠)

فيكون شأن الدعاء ما هو إلا قضاء سابق في علمه الأزلى. وهذا يحرر الاشكال الظاهرى البادى في النصوص ، حيث يدفع القضاء بالقضاء والقدر بالقدر وهذا ما انتهى إليه أهل الحق والصواب من أعاهم الله – تعالى – للفهم الصحيح للمنهجية القرآنية والسنية ، ومن كانت منطلقاته القرآن والسنة وخاصة عند معالجة القضايا الكبرى والشائكة مثل هذا الموضوع.

أهم نتائج وتوصيات البحث

أولاً : أهم النتائج : -

١– أيقنت من خلال ما ورد من معالجات في البحث أن الحل الحاسم لمسألة القضاء والقدر والجبر والاختيار والدعاء وما على شاكلته متضمن في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، فنقبل عليهما بعقل خالص ونستلهم منهما الإجابة على الأسئلة التي ما فتئت تحير الكثيرين، فإذا بالأمور واضحة والقضايا بينة ، والمسائل تصبح اجابات مقنعة للعقل ومرضية للنفس، ومطمئنة للقلب. وذلك باعتبارهما الحق في ذاته وبذلك تكون النتائج التي نتوصل إليها بمثابة الميزان الذى توزن به نتائج الفرق وآرائها، لأن التضارب قائم في فكر الفرق – كما رأينا – وليس في الأدلة النصية.

٢– لقد عنى القرآن الكريم بموضوع الدعاء وأكثر من طلبه في كثير من آياته ، وكذلك السنة النبوية الصحيحة ، وهو أمر لا يستطع أن يشك فيه أحد وهى في جملتها أدلة ثبوت وصحة لعظم شأن الدعاء هذا من جانب ، ومن جانب آخر أفاض في أدلة ثبوت القضاء والقدر، بل اكدت السنة على كونه الركن السادس في الإسلام ، وما هذا إلا دلالة صحة وثبوت – أيضاً – في حقه.

٣- تبين بأن القضاء والقدر عقيدة تتعلق بالعلم والإرادة والقدرة فكل ما كان وما يكـــون وما سيكون ، إنما هو بخلق الله – تعالى – وبعلمه الأزلى الذى لا يتغير ولا يتبدل ، وبإرادته التي لا يغلبها مغالب ، وبقدرته المطلقة إذ هو القاهر فوق عباده ، فجميع الخلائق مقهورون بقدرته ، ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[1]

٤- تبين – أيضاً – بعد التدقيق ومحاولة فهم واستيعاب للنصوص القرآنية أن هناك ارادتين إحداهما كونية والأخرى شرعية ابتلائية ، وهذا لا يعنى تتعدد الإرادة وإنما هـــى واحـــدة كصفة لله سبحانه. فالأمر الالهى واحد ولكنه يكون كونى الكائن وابتلائيا لآخر، وهذا يزيل بالطبع ما قد يشكل على البعض من عدم رد القضاء وكونه مبرماً على الأطلاق.

٥- بعد توضيح إخفاق كثير من الفرق في فهم حقيقة ربط الأسباب بالمسببات انتهت بنـــا المعالجة بأنه قد اقتضى عدله – سبحانه – وحكمته وعلمه أن يرتب خروج الأشياء علـــى الأسباب ، وأنه كلما أخذ الفرد بالسبب الذى وجهنا الله إليه وربـــط ذلـــك بمشـــيئته – سبحانه – وأيقن بأنه المؤثر الحقيقى وصل إلى الحق والصواب .

٦- للإنسان مشيئة يختار بها وقدرة يفعل بها ، وقدرته ومشيئته تابعتان لمشيئة الله ، واقعتان بها ، وعلى العبد أن يسعى في تحصيل مصالحه الدنيوية ، ويأخذ بالأسباب المشروعة فـــإذا حصل على مراده حمد الله على توفيقه لذلك ، وإن أتت الأمور على خلاف مراده تعـــزى بقدره وراجع نفسه فيما أخفق فيه من الأسباب وطلب العون من الله، ومـــا الـــدعاء إلا وسيلة من وسائل طلب العون.

٧- وجد على الساحة الإسلامية من يستهين بشأن الدعاء ويرى أنـــه لا داعـــى لـــه ولا جدوى من ورائه ، أو كونه عبادة محضة أو أمارة على الطاعة فقط ، وكل ذلـــك مـــردود ومناف للإيمان بالقدر، وتعطيل للأسباب وترك لعبادة هى أكـــرم العبـــادات علـــى الله

---

١ انظر:سورة القمر: (٤٩)

ﷺفالدعاء أمره عظيم وشأنه جلل به يرد القضاء ، وبه يرفع البلاء ، فهو ينفع مما نزل ومما لم يترل، وهو من الغرائز البشرية العليا التي لابد أن يلجأ إليها الإنسان ، وأن وجودها ليس عبثياً ، بل وجدت تلبية لحاجة ضرورية وهى توجه الإنسان إلى قدرة قادرة على غلبة وقهر الأسباب والعلل الظاهرة لذا نجد الله – سبحانه – جعل طلبه من باب العزم بخلاف غيره من الأفعال التي اوجب اقترانها بالمشيئة وعدم الاتكال على الفعل منفرد.

٨– القدر المدون قبل الخلق في أم الكتاب ، ليس سلسلة منيعة من العلل والمعلولات التي لا يمكن الرجوع عنها أو تغييرها أو منعها من الصدور، وأن الأمر لوكان على خلاف ذلك لوقعنا في أمرين خطيرين إحداهما: اثبات استقلال القدر وكونه شريكاً مع الله ، وثانيهما: أن ندعى بأن الله قد أعتنى بالعالم مرة واحدة عند الخلق ثم ترك الأمر للأشياء والمخلوقات وكلاهما محالان على الله تعالى.

٩– أن العلاقة بين الله – سبحانه – وبين عباده ليست علاقة عناية منذ البدء ثم انقطاع بعد تدوين المقادير ، وليست الأمور تجرى على العباد بفعل العلل الغيبة والطبيعية بسلسلة محكمة حاكمة للفاعلية الإلهية، وإنما الأمور تترل من السماء إلى الأرض بناء على سلوك العباد وأفعالهم الاختيارية ودعائهم. لذا فالعلاقة ليست بين الخلق وبين القدر، أوبين الخلق وبين الدهر وإنما هى بين الخلق وبين ربهم.

١٠– تعدد التدوينات المنتهية بالتقدير اليومى الذى ينظر فيه الله فيمحو منه ما يريد ويثبت منه ما يشاء ، بناء على ما يرفع إليه – سبحانه – من أعمال العباد وأدعيتهم ، وهذا لاينفي حتمية القدر، ولا يعنى نسبة التغيير في المشيئة أو نسبة النقص إلى العلم الإلهى ، وذلك لأن ما حدث من تبديل أو محو أو تخفيف وتلطيف في القضاء إنما هو مسجل عند الله في أم الكتاب.

١١– الدعاء وإن كان سبباً من الأسباب التي نستعين بها لتحقيق أمانينا في الحياة الدنيا ، إلا أن ذلك قد يكون ظاهريا – فقط – لأنه في الحقيقة هو قدر سابق أعده الله – سبحانه

– في علمه الأزلى ، فيكون القضاء قد دفع بالقضاء والقدر بقدر مماثل ومن هنا انتفـي أى اشكال أو تضارب موهوم ظاهرياً بين النصوص ، ونكون قد وضعنا أيدينا علـى حقيقـة علاقة الدعاء بالقضاء.

ثانياً: التوصيات: -

١- أوصى نفسى واوصى كل باحث يبحث في مسألة ما ، وخاصة الموضوعات الشـائكة أن يبدأ بحثه من القرأن الكريم والسنة النبوية بالمنهج العقلى الصحيح ، لأنه عندما يصل إلى نتائج صحيحة ومؤكدة ، فإنه يكون قد ملك بيديه النور الساطع الذى يستطيع أن يكشف به الحق من الباطل ، والغث من السمين في آراء ومذاهب وفكر البشر، مسلمين كـانوا أو غير مسلمين ، فيصبح بنور القرآن وهدى العقل مهيمنا ومستبصراً لما في الجاهليات مـن أباطيل ، وكفي بالله عاصماً من الضلال.

٢- كما أوصى نفسى وأوصى جميع المسلمين أن يستعينوا بكل الوسائل الروحية المتاحة لهم من قبل الحق سبحانه كالدعاء ليحققوا أمانيهم في الحياة الدنيا، وينالوا رضا الله – سبحانه – في الحياة الآخرة ، وأن يكونوا على قناعة كاملة بأهميتها وأحقيتها في التنفيذ كالوسـائل المادية ؛ لما فيها من تهذيب النفوس ، وترقيق القلوب ، وتعلقها بخالقها ، وايمانها الكامل بأنه لا نجاة ولا خلاص ولا نفع ولا ضرر إلا من قبل الحق سبحانه.

هذه هى أهم النتائج وبعض التوصيات فما كان من صواب فمن الله وحده وما كان مـن خطأ فمن نفسى والشيطان والله ورسوله بريئان منه ، اللهم أنى أسالك أن تجعل هذا البحث خالصاً لوجهك الكريم ، وأن تنفعنى به والمسلمين في الدارين ، وأن تجزى من سدد وصوب فيه وأعانى على إعداده خير الجزاء إنك على كل شيء قدير. آمين.

((د/هويدا فؤاد الطويل))

أهم المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: كتب السنة

١- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى

سنن أبي داود، نشر دار الكتب العربي. بيروت

٢- أحمد بن حنبل(١٦٤-٢٤١هـ)

المسند، تحقيق أحمد شاكر دار المعارف مصر١٣٧٧هـ والمطبعة الميمنة ١٣١٣هـ-

٣- البخارى (الإمام أبوعبدالله محمد بن اسماعيل البخارى)

صحيح البخارى، دار المعرفة

٤- الترمذى (أبو عيسى الترمذى)

سننه ط الحلبى

٥- مسلم (الإمام أبو الحسين بن الحجاج القشيرى النيسابورى٢٦١هـ)

صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى، دار إحياء التراث العربى

ثالثاً: - أهم المصادر والمراجع

١- أحمد أمين: ضحى الإسلام، لجنة التأليف والترجمة١٩٣٦م

٢- أحمد بن فهد الحلى ت ٨٤١هـ- "الشيخ "

- عدة الداعى ونجاح الساعى تحقيق أحمد الموجدى القمى، مكتبة الوجدانى بقم

٣- ابن بطه العكبرى (أبى عبدالله عبيد الله بن بطة العكبرى) :

شرح الإبانة على أصول السنة والديانة، تحقيق د/ رضا نعسان معطى، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ- دمشق

٤- ابن تيمية (تقى الدين أبى العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحرانى)

- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق محمد رشاد سالم جـ٣ ط ٦، ١٤هـ -١٩٨٦م.

- الاستقامة، تحقيق محمد رشاد سالم جـ٢ ط٢ نشر وتوزيع مؤسسة قرطبة.

- الاحتجاج بالقدر، نشر قصى محب الدين الخطيب الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ المطبعة السلفية بالقاهرة .

- مجموع الفتاوى، جمع وترتيب/عبدالرحمن بن محمد بن قاسم طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين، مكتبة المعارف الرباط المغرب، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة المنورة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

- الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية، الشيخ عبدالرحمن بن سعدى ، مكتبة المعارف الرياض ١٤٠٦هـ

٥- ابن حجر العسقلانى (ابن الفضل أحمد بن على بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلانى)

- فتح البارى بشرح صحيح البخارى ط الريان القاهرة، طبعة دار المعرفة بيروت

٦- ابن حزم (الإمام /محمد على بن أحمد بن حزم)

- الفصل في الملل والنحل، ط أولى ١٣٢٠هـ

٧- ابن الحاج (أبي عبدالله محمد بن محمد العبدرى الفارسى المالكى الشهير بـابن الحـاج ت٧٣٧هـ)

- المدخل إلى تنمية الأعمال، نشر دار التراث القاهرة

٨- ابن خلكان (أبي العباس شمس الدين بن خلكان)

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه إحسان عباد، دار صادر بيروت

٩- ابن سينا (شرف الملك أبو على الحسين بن عبدالله الحسين بن على)

- الاشارات والتنبيهات، تحقيق د/سليمان دنياط دار المعارف ١٩٦٠م

١٠- ابن السعدى (عبدالرحمن بن ناصر بن السعدى) "الشيخ"

- الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، مؤسسة قرطبة صححه واعتنى به وعلق عليه أشرف بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم

- التنبيهات اللطيفة على ما أحتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنفية تعليق الشيخ عبدالعزيز بن باز، تخريج الشيخ على بن حسن بن عبدالحميد الحلـبى دار ابـن القـيم الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ

١١- ابن عجيبة الحسنى:

- ايقاظ الهمم شرح متن الحكم، المكتبة الثقافية ببروت لبنان بدون تاريخ للطبعة

١٢- ابن العربى (أبى عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى)

- الجامع لأحكام القرآن، تحقيق على محمد البجاوى مطبعة عيسى البابى الحلبى ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م

١٣- ابن العربى (محى الدين محمد بن على بن محمد بن العربى الحاتمى الطائى ت ٦٣٨هـ)

- الفتوحات المكية تحقيق وتقديم د/عثمان يحى ومراجعة د/إبراهيم مدكور، المجلس الأعلى للثقافة بالتعاون مع معهد الدراسات العليا بالسوربون، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

- تفسير القرآن الكريم ط دار اليقظة بيروت ١٣٧٨هـ

١٤- ابن فارس (أبى الحسن أحمد بن فارس بن زكريا)

- معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبدالسلام هارون، طبعة دار الجيل الطبعة الأولى ١٤١١هـ

١٥- ابن قتيبة

- تأويل مشكل القرآن، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية بيروت

١٦- ابن قدامه

- لمعة الاعتقاد الهادى إلى سبيل الرشاد، خرج أحاديثها وعلق عليها بدر بن عبدالله البدر، الدار السلفية الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ

١٧- ابن القيم (محمد بن أبى بكر أيوب الزرعى أبوعبدالله بن القيم الجوزية ت ٧٥١هـ)

- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تحرير الحسانى حسن عبدالله مكتبة دار التراث القاهرة

- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة صححه وعلق عليه أ/محمود حسن ربيع ط ٣لسنة١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م

- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ضبطه وعلق عليه د/السيد الجميلي - دارابن زيدون بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، حققه محمد حامد الفقى ط بيروت لبنان دار الكتاب العربى ١٩٧٣م

- إعلام الموقعين عن رب العالمين تحقيق وتعليق عصام الدين الصبابطى دارالحديث القاهرة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م المجلد الأول وبه جزئين الأول والثانى

- الروح، ط دار الكتب العلمية

- الداء والدواء مكتبة الصفا ط أولى ٢٠٠٢م

- فضائل الذكر والدعاء عنيت بنشره والتعليق عليه مكتبة التراث الإسلامى

١٨- ابن كثير (الحافظ ابن كثير ٧٠٠ - ٧٧٤هـ)

- تفسير القرآن العظيم تحقيق د/محمد إبراهيم البنا، محمد أحمد عاشور، عبدالعزيز غنيم طبعة الشعب

١٩- ابن منظور(محمد بن عبدالكريم بن منظور)

- لسان العرب، دار الفكر، وطبعة دار صادر بيروت



٢٠- أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازى " الشيخ"

- الزينة في الكلمات الإسلامية والعربية، تحقيق عبدالله سلوم السامرائى

٢١- أبو نعيم (الحافظ أبي نعيم الاصبهانى ت٤٣٠هـ)

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة بمصر١٣٤٩هـ، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان

٢٢- أبو هلال العسكرى

- الفروق في اللغة، حققه وعلق علي حواشيه ووضع فهارسه جمال عبد الغنى مؤسسة الرسالة، الطبعة - الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

٢٣- احسان إلهى ظهير

- الشيعة والسنة، مطبعة التقدم توزيع دار الأنصار القاهرة ١٩٧٩م

٢٤- الاسفرايينى (أبو المظفر الاسفرايينى)

- التبصير في الدين، تعليق الشيخ محمد زاهد بن حسن الكوثرى، نشر مكتبة الخانجى١٩٥٥م

٢٥- الأشعرى (أبو الحسن الأشعرى ت ٣٣هـ)

- الابانة عن أصول الديانة، تحقيق د/فوقية حسين محمود دار الكتاب العربى، بيروت ط٢ -١٤١٠هـ

- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، صححه وقدم له حموده غرابه مدير المركز الثقافي
- الإسلامى بلندن، المكتبة الأزهرية للتراث.

- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محى الين عبد الحميد نشـــر مكتبـــة النهضة - المصرية القاهرة

٢٦- الألبانى (محمد ناصر الدين الألبانى) "الشيخ"

- سلسلة الأحاديث الصحيحة ط٤ المكتب الإسلامى

- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ط٥ لسنة ١٩٨٥ المكتب الإسلامى

٢٧- الألوسى (أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى ت ١٢٧٠هـ)

- روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، حقق أصوله ووثق نصوصه طه عبد الرؤف سعد - طبعة أولى دار الغد العربى

٢٨- الإيجى (عضد الله والدين القاضى عبدالرحمن بن أحمد الإيجى)

- المواقف في علم الكلام ط دار عالم الكتب

٢٩- الباقلانى (القاضى أبى بكر محمد بن الطيب بن الباقلانى)

- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق عماد الدين أحمـــد حيـــدر عـــالم الكتب الطبعة الأولى ١٤٠٧هـــ- ١٩٨٧م، وطبعة الخانجى ١٤١٣هـــ

- التمهيد في الردعلى الملاحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة تحقيق /محمود محمـــد الخضيرى - ود/محمد عبد الهادى أبو ريده، ط دار الفكر العربى ١٩٤٧م

٣٠- البخارى "الإمام "

- خلق أفعال العباد أوالردعلى الجهمية وأصحاب التعطيل، مؤسسة الرسالة بـيروت ط١ لسنة ١٤٠٤هـ

٣١- البغدادى (أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر التميمى البغدادى) "الإمام"

- الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم، تحقيق /محمد محى الدين عبدالحميد نشر محمد على - صبيح القاهرة

٣٢- البغوى (الأمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى الشافعى ت٥١٦هـ) "الإمام"

- تفسير معالم التنزيل إعداد خالد عبدالرحمن العك، مروان سوار دار المعرفة بيروت لبنان.

٣٣- البيجورى

- تحفة المريد على جوهرة التوحيد، ط الحلبى ١٣٨٥هـ /١٩٣٩م

٣٤- التفتازانى (مسعود بن عمر بن عبدالله الشهير بسعد الدين التفتازانى) "الإمام"

- شرح المقاصد، تحقيق وتعليق د/عبدالرحمن عميرة، تصدير فضيلة الشيخ صالح موسى - شرف، عالم الكتب. بيروت طبعة أولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م(جـ٢، جـ٤)

٣٥- جعفر السبحانى "الشيخ "

- الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف، الشبكة العالمية للشيعة

٣٦- د/جميل صليبا

- المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبنانى. بيروت

٣٧- الجرجانى(على بن محمد بن على الشريف الحسينى الجرجانى المعروف بسيد ميرشريف)

- التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت لبنان

- شرح المواقف، تحقيق د/محمد المهدى، ط مكتبة الأزهر

٣٨- الجزائرى (أبوبكر جابر الجزائرى)

- عقيدة المؤمن، الناشر مكتبة العلوم والحكم، توزيع مكتبة الصفا الطبعة الأولى١٤٢٣هـ، مطابع دار - البيان الحديثة ٢٠٠٢م

٣٩- جولد زيهر

- دائرة المعارف الإسلامية مجلد ٣مقالة عن البداء إصدار أحمد الشنتناوى

٤٠- الجوهرى (أبونصر اسماعيل بن حماد)

- الصحاح، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، القاهرة ١٩٥٦م

٤١- الجوينى (عبدالملك بن يوسف بن محمد بن عبدالله بن حيوية الجوينى النيسابورى ت ٤٧٨هـ) "الإمام "

- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق أسعد تميم مؤسسة الكتب الثقافية طبعة أولى - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

- العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية تحقيق وتعليق محمد زاهد الكوثرى، الناشر المكتبة الأزهرية - للتراث ط ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م

٤٢- الخطابى (أبو سليمان حمد بن الخطاب المعروف بالخطابى ت ٣٨٨هـ)

- شأن الدعاء، المحقق أحمد يوسف الدقاق، الناشر دار الثقافة العربية الطبعة الأولى ١٩٨٤م والطبعة الثالثة ١٩٩٢م

- معالم السنن (شرح سنن أبى داود) نشر المطبعة العلمية حلب

٤٣- الخولى (حامد على الخولى) "دكتور"

- قضية الألوهية عند المتكلمين، الدار الإسلامية للطباعة والنشرط ١٩٩٠م

٤٤- الخياط (أبو الحسين عبدالرحيم محمد بن عثمان الخياط المعتزلى)

- الانتصار والرد على ابن الراوندى الملحد تحقيق وتعليقات د/ نيرج مكتبة الكليات الأزهرية، دار الندوة - الإسلامية طبعة ١٩٨٧م- ١٩٨٨م بيروت لبنان

٤٥- الذهبى (الحافظ شمس الدين أبوعبدالله محمد بن عثمان الذهبى "٦٧٣- ٧٤٨") "الإمام "

- سيرأعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط ورفاقه، مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م طبعة مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٣ه-

- ميزان الإعتدال في نقد الرجال، طبعة الخانجى الطبعة الأولى ١٣٢٥هـ القاهرة وطبعة بيروت

٤٦- الرازى (أبو الفضل محمد فخرالدين الرازى ت ٦٠٦هـ " الإمام"

- مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير الناشر دار الغد العربى طبعة أولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٤٧- الراغب الأصفهانى (أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ت٥٠٢هـ)

- المفردات في غريب القرآن، تحقيق وضبط محمد خليل عيتانى دار المعرفه بيروت لبنان طبعة أولى ١٤١٨هـ -١٩٩٨م

٤٨- زكى نجيب محمود، د/أحمد أمين "دكتور"

- قصة الفلسفة الحديثة

٤٩- الزركلى (خيرالدين الزركلى)

- الأعلام، دار العلم للملايين بيروت

٥٠- الزمخشرى(جادالله محمود بن عمر الزمخشرى ت ٥٢٨هـ)

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل وهوتفسير القرآن الكريم شرح وضبط ومراجعة يوسف الحمادى الناشر مكتبة مصر.

٥١- السبكى(تاج الدين عبدالوهاب بن على السبكى ت ٧٧١هـ)

- طبقات الشافعية الكبرى، ط البابي الحلبي

٥٢- السفارينى(محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفارينى النابلسى الحنبلى)

- لوامع الأنوارالبهية وسواطع الأسرارالأثرية، المكتب الاصلاحى الطبعة الثالثة ١٤١١هـ، والطبعةالثانية المكتب الإسلامى بيروت١٤٠٥هـ

٥٣- السنوسى (محمد بن يوسف السنوسى)

- شرح العقيدة الوسطى

٥٤- السيوطى (عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطى)

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دارالفكرالطبعةالأولى١٤٠٣هـ، وطبعة دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م

٥٥- الشعراوى (محمد متولى الشعراوى) " الشيخ"

- القضاء والقدر دار الندوة، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ، وطبعة دار الشروق تقديم أحمد فراج الطبعة الأولى ١٩٧٥م

٥٦- الشهرستانى (أبو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستانى)

- نهاية الإقدام في علم الكلام، صححه الفريد جيوم مكتبة الأزهر

- والملل والنحل، تحقيق محمد سيد الكيلانى القاهرة ١٩٦١م

٥٧- الطبرى (محمد بن جرير الطبرى "٣١٠")

- جامع البيان في تأويل آى القرآن، المجلد الثانى جـ٢ دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م منشورات محمد على بيضون، وطبعة دار الغد العربى

٥٨- الطحاوى (أبو جعفر المصرى الطحاوى)

- شرح العقيدة الطحاوية، شرحها الإمام القاضى على بن أبي العزالحنفي الدمشقى وبحاشيتها تعليقات العلامة محمد ناصرالدين الألبانى، تحقيق عبدالرحمن فهمى الزواوى، دار الغد الجديد الطبعة الأولى١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

٥٩- عبدالجبار(القاضى أبو الحسن عبدالجباربن أحمد الهمدانى ت ٤١٥هـ-)

- المغنى في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق د/محمد مصطفي حلمى، د/أبوالوفا الغنيمى جـ٤مراجعة د/ابراهيم مدكورإشراف د/طه حسين المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشروالترجمة مطبعة مخيمر

- المحيط بالتكليف، تحقيق عمرالسيدعزمى، مراجعة د/أحمدفؤاد الأهوانى ، الدارالمصرية للطباعة المجلد الأول بدون تاريخ طبعة

- شرح الأصول الخمسة، تحقيق د/عبدالكريم عثمان، تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم ط مكتبة وهبه ط أولى ١٣٨٤هـ -١٩٦٥م

٦٠- عبدالحليم قنبس، وخالد العك

- مسألة القضاء والقدر، دارالكتاب العربى، حلب دمشق

٦١- عبدالرحمن بدوى

- مذاهب الإسلامين، دارالعلم للملايين ط ١٩٩٦م

٦٢- عبدالرحمن الوكيل"الشيخ "

- هذه هى الصوفية، دارالكتب العلمية. بيروت الطبعة الرابعة ١٩٨٤م

٦٣- عبدالعزيزسيف النصر"دكتور"

- نظرية السببية في الفكرالكلامى الإسلامى الطبعة الأولى ١٩٨٤م مطبعة الجبلاوى

٦٤- عبدالكريم تنان، ومحمدالكيلانى

- عون المريد لشرح جوهرة التوحيد، دار البشائر.

٦٥- عصام الدين محمدعلى

- ديانات ومذاهب أهل العالم، منشأة المعارف الأسكندرية ١٩٩٢م مركز الدلتا للطباعة

٦٦- على سامى النشار"دكتور"

- مناهج البحث عند مفكرى الإسلام واكتشاف المنهج العلمى في العالم الإسلامى الطبعة الرابعة ١٩٧٨م دار المعارف

٦٧- على موسى الكعبى"الأستاذ"

- الدعاء حقيقته وآدابه وآثاره، سلسلة المعارف الإسلامية، الناشرمركز الرسالة الطبعة الأولى١٤١٩م ، مطبعة مهر- تم إيران

٦٨- على القارى (الملا على القارى الحنفي ت١٠١٤هـ)

- شرح كتاب الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، حقق وخرج أحاديثه وعلق عليه على محمد دندل، دار الكتب العلمية بيروت لبنان

٦٩- الغزالى (أبو حامد محمد الغزالى الطوسى النيسابورى) "الإمام "

- إحياء علوم الدين وبذيله المغنى عن حمل الأسفارفي الأسفارفي تخريج مافي الأحياء من االأخبارللإمام زين الدين أبي الفضل العراقى، ضبط وتوثيق أحمد عناية وأحمد زهوة. ط المكتبة - التجارية الكبرى١٩٦٤القاهرة

- الأقتصاد في الأعتقاد، وضع حواشيه عبدالله محمد الخليلى، منشورات محمد على - بيضون دارالكتب العلمية بيروت.لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

- تهافت الفلاسفة، قدم له وعلق حواشيه د/صلاح الدين الهوارى المكتبة العصرية صيدا بيروت ط ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م وطبعة دار المعارف

- الأربعين في أصول الدين، طبعة دارالجيل بيروت

٧٠- فاروق أحمد الدسوقى"دكتور"

- القضاء والقدرفي الإسلام الكتاب الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م (ثلاثة أجزاء) دار الأعتصام للطبع والنشر والتوزيع.

٧١- فريد الأنصارى

- ابجديات البحث في العلوم الشرعية "محاولة التأصيل المنهجى"دار السلام الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ ٢٠١٠م ٧٢- الفيروز آبادى (مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب)

- القاموس المحيط مؤسسة الرسالة ط٢لسنة ١٤٠٧هـ

٧٣- القرطبى (أبوعبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى)

- الجامع لأحكام القرآن، دارأحياء التراث العربى بيروت لبنان

٧٤- القشيرى (أبوالقاسم عبدالكريم القشيرى)

- الرسالة القشيرية في علم التصوف، تحقيق وإعداد معروف زريق وعلى عبدالحميد بلطجى، ط٢ دار الجيل.بيروت

٧٥ - كمال محمدعيسى"دكتور"

- نظرات في معتقد ابن عربى، دارالمجتمع للنشروالتوزيع، جدة ط٢ لسنة ١٤٠٦هـ

٧٦- الكلينى (الشيخ محمدبن يعقوب الكلينى)

- أصول الكافي، ط دار الكتب الإسلامية طهران ١٣٨٨هـ

٧٧- اللالكائى (أبى القاسم هبة الله بن الحسن بن منصوراللالكائى ت٤١٨هـ)

- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم ، تحقيق د/أحمد سعد حمدان دار طيبة للنشروالتوزيع الرياض ط١ لسنة ١٤٠٩هـ

٧٨- اللقانى(إبراهيم بن حسن اللقانى ت ١٠٤١هـ) "الإمام"

- أرجوزة جوهرة التوحيد مع شرحها تحفة المريد على جوهرة التوحيد، تقديم لجنة العقيدة بجامعة الأزهر، القسم الأول والثانى ٢٠٠٦م

٧٩- محمد أمين الكردى الإربلى ت ١٣٣٢هـ

- تنويرالقلوب في معاملة علام الغيوب، دارالكتب العلميةبيروت لبنان ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

٨٠- محمد جابر عبد العال الحينى"دكتور"

- حركات الشيعة المتطرفين وأثرهم في الحياة الإجتماعية والأدبية لمدن العراق أبان العصر العباسى الأول الناشردار المعرفة طبعة ١٩٦٧

٨١- محمدرشيدرضا "الإمام "

- تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، دار الفكر للطباعة والنشرجـ٢، وجـ١١الطبعة الثانية

- مجلة المنار، المقالة السابعة عشرة في أنواع الخوارق وضروب التعليل والتأويل النوع الحادى عشر: استجابة الدعاء.

٨٢- محمد رضا المظفر"الشيخ"

- عقائد الإمامية، طبعة المطبعة العالمية القاهرة ١٩٧٣م

٨٣- محمد صديق (محمد صديق حسن خان القنوجى البخارى ت١٣٠٨هـ)

- الدين الخالص إصدارات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية طبعة أولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

٨٤- محمدعبدالله الشرقاوى"دكتور"

- بحوث في مقارنة الأديان، دارالفكرالعربى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

٨٥- محمد عبدالهادى أبوريده "دكتور"

- تاريخ الفلسفة في الإسلام، لجنة التأليف والترجمة ط٤لسنة ١٩٥٧م

٨٦- محمد الحسن آل كاشف الغطاء

- أصل الشيعة وأصولها، نشرالدارالإسلامية للطباعة المنصورة ط ١٩٨٢م

٨٧- محمد السيد طنطاوى "دكتور"

- كتاب الدعاء، ط مجمع البحوث الإسلامية

٨٨- محمد محمود أحمد، ود/موسى الخطيب "دكتور"

- آيات الدعاء في القرآن الكريم (الدعاء والقضاءوالقدر) أربع أجـزاء مركـز الكتـاب للنشر ط أولى ١٩٩٩م مطابع آمون

٨٩- محمد الأمين الشنقيطى"الشيخ"

- دفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب، مطابع الرياض ط سنة ١٣٧٥هـ

٩٠- محمد الأنورحامد عيسى "دكتور"

- نظرات في العقيدة الإسلامية ط٣ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

٩١- المجلسى (محمدباقرالمجلسى)

- بحار الأنوار لدرر أخبارالأئمة الأطهار، تم اعداده من قبل المجمع العالمى لأهل البيـت ، دار الكتب الإسلامية جـ٤

٩٢- المسعودى

- مروج الذهب، ط التحريرالقاهرة

٩٣- المفيد (محمدبن محمد النعمان العكبرى البغدادى الملقب بالمفيد) "الشيخ"

- أوائل المقالات في المذاهب المختارات، تعليق الزنجانى ط٣لسنة ١٣٩٣م الطبعة الحيدرية النجف

٩٤- ناصرالقفارى (ناصربن عبدالله بن على القفارى) "دكتور"

- أصول مذهب الشيعة الإمامية الأثنى عشرية عرض ونقد، ٣مجلدات بدون بيانات للنشر.

٩٥- النسفي (أبوالمعين النسفي الماتريدى)

- تبصرة الأدلة في أصول الدين على طريق الإمام أبي منصورالماتريدى تحقيق كلود سـلامة ط قبرص دارالجفان للطباعة

٩٦- النيسابورى (أبوعبدالله الحاكم)

- المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفي عبدالقادر عطا، دارالكتب العلمية. لبنـان ط ١٤١١هـ

٩٧- النووى (أبو زكريا محى الدين بن شرف النووى) "الإمام"

- شرح صحيح مسلم، نشردارإحياء التراث العربي بيروت ١٣٩٢هـ، وط دارالفكر

٩٨- هنرى توماس، ودانالى توماس

- المفكرون من سقراط إلى سارتر، عثمان نوبه، ملتزم الطبع والنشرمكتبة الانجلوالمصـرية ١٩٧٠

٩٩- يحيى هاشم حسن فرغلى"دكتور"

- الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة ط دارالمعارف

- الفرق الإسلامية في الميزان، دارالآفاق العربية ٢٠٠٧م

١٠٠- موقع شبكة الشيعة العالمية





فهرس الموضوعات